

نهاية رمضان ..  
واشتداد المعنى ..

# النور



## الكلمة

### بين الأمانة والحرية

وصايا وتنبيهات في ختام رمضان  
معالم الهدى في أجواء الفتن  
أعظم الكرامة لزوم الاستقامة







فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د. عبد الله شاکر الجنیدی

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هیکل

د. مرزوق محمد مرزوق

التحرير

٨ شارع قولة عابدين، القاهرة

ت ٢٣٩٣٠٦٦٢، فاكس ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت ٢٣٩٣٠٦٦٢

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام

هاتف ٢٣٩١٥٤٠٦-٢٣٩١٥٥٧٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لمرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي، q.tawheed@yahoo.com

السلام عليكم

## بالظلم تزول الدول

في وسط هذا الخضم المائج، والبحر الهائج، والفتن المتراكمة، والطموحات المتلاطمة، والفجوة الساحقة، والأحداث المتلاحقة، نسي الكثيرون أن للكون ملكاً وصاحباً يحكم فيه بعده، ويدبر شئونه، ويسير أموره، ويعلم سره وعلايته، وهو سبحانه الذي رفع هذا ووضع هذا، فكم أعز ذليلاً وأذل عزيزاً!

إن حرم الله الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً، وقواعد الملك لا تثبت إلا بالعدل، وتزول بالظلم الدول، فلم ينفع الكاذب كذبه، ولا المنافق نفاقه، ولا الظالم بطشه، فقد أذن الله تعالى للعجلة أن تدور بسرعة، فالיום خمراً وغداً أمر، اليوم في الذروة وغداً في الهوة، وما أهون العباد على الله إذا هم خالفوه وعصوا أمره!!

كم من الملوك بات على عرشه جليساً، ويتدبر الله أصبح رهن الأسر حببياً.

يا قوم! اتقوا الله.. اتقوا الله.. اتقوا الله.

التحرير

السنة الثانية والأربعون  
العدد ٥٠٢ شوال ١٤٢٤

## في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد: الرئيس العام
- ٦ كلمة التحرير: رئيس التحرير
- ١٠ باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي
- ١٧ باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق
- ٢١ درر البحار: علي حشيش
- ٢٣ منبر الحرمين: د. صالح بن حميد
- ٢٧ من روائع الماضي: محمد صفوت نور الدين
- ٣٠ القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عبد
- ٣٢ فرحة العيد: عبده الأقرع
- ٣٤ مسائل فقهية: اللجنة الدائمة
- ٣٦ واحة التوحيد: علاء خضر
- ٣٨ باب الفقه: د. حمدي طه
- ٤١ دراسات شرعية: متولي البراجيلي
- ٤٥ وقفات مع حديث: المستشار أحمد السيد علي
- ٤٩ باب السيرة: جمال عبد الرحمن
- تحذير الداعية من القصص الواهية:
- ٥٣ علي حشيش
- المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد
- ٥٧ الصفات: د. محمد عبد العليم الدسوقي
- وصايا وتنبيهات في ختام شهر رمضان:
- ٦١ عبد العزيز مصطفى الشامي
- ٦٥ باب التراجم: صلاح نجيب الدق
- ٦٩ باب الفتاوى: اللجنة الدائمة
- ٧١ الأمثال في القرآن: مصطفى البصراقي

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التنفيذ الفني

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي



## ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الامارات ٦ درهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

## الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلها.

ترسل القيمة بسويقت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة - حساب رقم ١٩١٥٩٠/

منفذ البيع  
الوحيد بمقر  
مجلة التوحيد  
الدور السابع

٧٥٠ جنيهاً شمع الكبريتية للأفراد والهيئات والمناسبات  
داخل مصر ٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية  
مطابع الأهرام التجارية - قليب - مصر

تتقدم للتعاون كرتونة كاملة تحتوي على ٤٠ مجلداً  
مع مجلات مجلة التوحيد حتى ٤٠ سنة كاملة

مفاجأة  
كبيرة





# مكانة القرآن وفضله

بقلم / الرئيس العام

د/ عبد الله شاكر الجنيدي  
www.sonna\_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فقد تحدثت في اللقاء السابق عن كتاب الله الكريم لارتباط القرآن بشهر رمضان ونزوله فيه، وفي هذا اللقاء أحببت أن أواصل الحديث عن القرآن الكريم؛ لأبرز جوانب أخرى من مكانته وفضله، ورغبة في أن لا ينقطع المسلم عن القرآن بعد شهر رمضان، فأقول وبالله التوفيق:

**اشتمال القرآن الكريم على الهداية للبشر:**  
اشتمل القرآن الكريم على ألوان وأنواع الهداية للبشر جميعاً في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْرَبُ وَبَيِّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَمْ يُجْرَأْ كَيْدًا» [الإسراء: ٩]، وهذا ثناء عظيم من الله تبارك وتعالى على كتابه، ودلت الآية أيضاً على أن الدين دين مستقيم، وهو أقومها، وقد أجاد وأفاد العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في بيان هدايات القرآن الكثيرة العظيمة، ومما قال: «إن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، واجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً برب العالمين- جل وعلا- يهدي للتي هي أقوم...، وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأصلحها وأصوبها». [اضواء البيان ٤٠٩/٣].

ثم أشار رحمه الله إلى شيء منها، ومن ذلك: توحيد الله سبحانه وإفراده بجميع أنواع العبادة بعد إفراده بالخلق والرزق والتدبير- جل في علاه-، ومنه أيضاً: توحيد الله في أسمائه الحسنی وصفاته العلی فهو وحده المتصف بصفات الجلال والكمال، المنزه عن كل نقص وعيب، وقد ذكر الله في كتابه كثيراً من الآيات الدالة على توحيده، وقد تضمنت الآيات الأسماء والصفات، فعلى العباد ضرورة الاهتمام بهدي القرآن في ذلك، والتمسك به، والسير على منوال السلف الصالح الذين اخلصوا العبادة لله، وعظموها لله بإثبات ما أثبتته لنفسه، أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تاويل أو تحريف أو تشبيه.

وإني لأعجب غاية العجب بعد هداية القرآن للامة من مخالفة أهل البدع لمنهج القرآن، ومما نشاهده اليوم من ألوان الشرك والبدع تتم عند القبور والمشاهد، من الرافضة والمتصوفة وغيرهم- وهم يظنون مع ذلك

أنهم يحسنون صنفاً-، وقد هدى الله أهل السنة والجماعة إلى الحق في أصول الإيمان، فاتبعوا الدليل وعبدوا الرحمن.

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم أن جعل للرجل في الميراث ضعف ما للمرأة؛ وذلك لأن الرجل يتحمل من الأعباء ما ليس على المرأة من النفقة، وبذل المهر، والقيام بما يجب عليه من لوازم الحياة للمرأة والأولاد، فافتضى ذلك التفضيل، قال الله تعالى: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» [النساء: ٣٤]، وهذا هو الشان المعهود من الرجل، وهو أن يقوم بالكفاية والرعاية على المرأة، كما أنه يفرض عليه ما لا يفرض عليها من الجهاد، وهذا يتضمن توفير الحماية الكاملة لها ونحوه.

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: ما جاء في التشريعات الربانية والحدود الشرعية ودعا القرآن إلى إقامتها، وذلك ليسلم الناس من البغي والظلم والعدوان، ويعيش الناس في أمن وأمان، وأحب أن أؤكد هنا للجميع أن تشريع الحكيم الخبير اللطيف مشتمل على جميع الحكم

من درء المفساد وجلب المصالح، والجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وهو عام وشامل لكل من اقترب ذنباً وضع الشارع له عقوبة، دون حصانة لأحد، فالحدود تقام على الرئيس والمرعوس، والغني والفقير، والقوي والضعيف، فما أعظم هذا القرآن وتشريعه.

**التمسك بالدين لا ينال التقدم والرفق**

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: هديه إلى أن التقدم والرفق، والسعي في الأرض لا ينافيه التمسك بالدين، فما خيّل أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام: من أن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام- باطل لا أساس له-، والقرآن يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، ولكن

ذلك التقدم في حدود الدين، والتحلي بأدابه الكريمة، وتعاليمه السماوية، وإلحاح مثلاً على ذلك، قال الله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا مَقْضًى بَنِيَّالَ أَوْفَى مَعَهُ وَالْقَظِيرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ أَنْ أَقْمَلْ سَيْغَتَ وَفَزَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَليلاً إِيَّيَّ مَا تَصَلُّونَ بَيسِرَ» [سبا: ١٠-١١]، فقلوه: «أَنْ أَقْمَلْ سَيْغَتَ وَفَزَّرَ فِي السَّرِّ» [سبا: ١١] يدل على الاستعداد لمكافحة العدو، وقوله: «وَأَعْمَلُوا صَليلاً» [سبا: ١١] يدل على أن ذلك الاستعداد لمكافحة العدو في حدود الدين الحنيف، وداود عليه السلام من الأنبياء المذكورين في سورة الأنعام، وقد قال الله تعالى مخاطباً نبينا صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكرهم: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْئِدَةً» [الأنعام: ٩٠]، وهذا من شمولية الإسلامية وتوازنه الذي يجمع بين الدين والدنيا، ويوفق بينهما دون تعارض أو تباین، ويظهر هذا واضحاً جلياً في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عَصَمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِينَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)). [مسلم: ٢٧٢٠]. وهذا الحديث من الأدعية الجامعة للخير في الدين والدنيا والآخرة.

**الرابطه الحقيقية هي رابطه الدين**

ومن هدي القرآن الكريم للتي هي أقوم: هديه إلى أن أهم رابطه تربط بين أفراد المجتمع هي دين الإسلام؛ لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطه جميع المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد، كما جاء في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَاضُعِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا

القرآن يهدي للتقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا ودين، وأدب الدين وحلوه



اشْتَكَى مِنْهُ غُضْبُو تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى). [البخاري: ٦٠١١، ومسلم: ٢٥٨٦].

وقد كثر في القرآن الكريم إطلاق النفس وإرادة الأخ تنبيهها على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه، كقوله تعالى: «لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ» [النور: ١٢]. وقد جعلت الآية أهل الإيمان كالنفس الواحدة، فإذا وقع بأحدهم مكروه فكانه وقع على جميعهم.

ومن الآيات الدالة على أن الرابطة الحقيقية هي الدين، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية ما جاء في قوله تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» [المجادلة: ٢٢].

والمعنى: لا تجد قوماً جامعين بين الإيمان بالله واليوم الآخر، وبين موادة أعداء الله ورسوله، وقد أكد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة منها: ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين، فسمعهما الله رسوله صلى الله عليه وسلم قال: ما هذا؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها منتنة. [البخاري: ٤٩٠٥].

فقول هذا الأنصاري: يا للأنصار، وهذا المهاجري: يا للمهاجرين، هو النداء بالقومية العصبية بعينها، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوها فإنها منتنة)، يقتضي وجوب ترك النداء بها، وأن النداء بها مخالف لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وأنها قبيحة خبيثة مستقذرة.

وفي رواية مسلم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع الأنصاري والمهاجري يقولان ذلك، قال: «مَا هَذَا دَعَا أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ». [مسلم: ٢٥٨٤].

وهذا يدل على أن أهل الجاهلية كانوا يأخذون حقوقهم بالعصبات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضايا بالأحكام الشرعية، فإذا اعتدى إنسان على آخر حكم القاضي بينهما والزمه مقتضى عداوته كما هو مقرر في قواعد الإسلام. [انظر شرح النووي على مسلم ١٣٧/١٦].

وفهم من رواية صحيح مسلم أن زعماء ورؤساء الدعاة إلى القومية هم رؤساء الكفرة كابي جهل وابي لهب والوليد بن المغيرة وغيرهم، وقد علق العلامة القرآني محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله على الآيات والاحاديث السابقة بكلام نفيس قال فيه: «واعلم أنه لا خلاف بين العلماء في منع النداء برابطة غير الإسلام، كالقوميات والعصبيات النسبية، ولا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية...»

وقد بين الله جل وعلا في محكم كتابه: أن الحكمة في جعله بني آدم شعوباً وقبائل هي التعارف فيما بينهم، وليست هي أن يتعصب كل شعب على غيره، وكل قبيلة على غيرها، ونحن حين نصرح بمنع النداء بالروابط العصبية والأواصر النسبية، ونقيم الأدلة على منع ذلك لا ننكر أن المسلم ربما انتفع بروابط نسبية لا تمت إلى الإسلام بصلة، كما نفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب، وقد قال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم:

أهل الجاهلية كانوا يأخذون حقوقهم بالعصبات والقبائل، فأبطل الإسلام ذلك بالأحكام الشرعية.

والله لن يصلوا إليكم بجمعهم

حتى أوسد في التراب دفينا

وقد نفع الله بتلك العصبية النسبية شعبياً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كما قال تعالى عن قومه: «قَالُوا يَسْتَعْجِلُ مَائِدَتَهُ كَيْفًا مَتَانُفُولًا إِنَّا تَرَيْنَا مِثْلًا وَلَوْ أَنَّهُ لَرَبُّكَ إِنَّا صِيبًا» [هود: ٩١]، ومما يوضح ذلك أن الرابطة الحقيقية هي دين الإسلام قوله تعالى في أبي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم: «سَيَصِلُنَّ آثَارُ ذَاتِ الْهَبِ» [المسد: ٣]. ويقابل ذلك بما لسلطان الفارسي من الفضل والمكانة، وبالجمل: فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض، وتربط بين أهل الأرض والسماء هي رابطة «لا إله إلا الله»، فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها. [انظر أضواء البيان ٤٤١/٣ - ٤٤٨].

حل المشاكل العالمية باقوم الطرق وأعدلها: ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: هديه إلى حل المشاكل العالمية باقوم الطرق وأعدلها، ويضيق المقام عن ذكر المشاكل وحلها، ولذلك ساذكر فقط ثلاثاً منها، وكيف قدم القرآن لها الحل النافع المفيد.

#### المشكلة الأولى:

ضعف المسلمين في العدد والعدة في مواجهة الكافرين، وعلاج القرآن لهذه المشكلة يتمثل في صدق التوجه إلى الله، وقوة الإيمان به والتوكل عليه، واستعمال الوسائل الصحيحة الممكنة، ومن الأدلة المبينة لذلك: أن الكفار لما حاصروا المؤمنين في المدينة حصاراً قوياً ذكره الله في قوله: «إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَفَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۚ هُنَالِكَ آتَتْهُمُ الْمَوْتُ وَرَبُّهُمُ زَائِلٌ زَيْلًا مُّحِيئًا» [الأحزاب: ١٠ - ١١]، والعلاج الذي حل هذه المشكلة وواجه هذا الحصار تمثل في قوة الإيمان والتسليم لرب الأرض والسماء، مالك القوى والقدّر، قال الله تعالى: «قَالُوا هَذَا مَا

وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» [الأحزاب: ٢٢].

#### المشكلة الثانية:

تسليط الكفار على المؤمنين وإبداؤهم، مع أن المسلمين على الحق والكفار على الباطل، وقد استشكل الصحابة رضوان الله عليهم ذلك لما نال الكفار منهم في غزوة أحد، فبين القرآن الكريم سبب ذلك ومنه يعرف الحل والعلاج. قال الله تعالى: «أَوَلَمَّْا أَسْبَغْتُكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ بِثَلَاثَةِ قُلُوبٍ أَنَّ هَذَا قُلُوبٌ مِّنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [آل عمران: ١٦٥]، وقوله تعالى: «قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ» [آل عمران: ١٦٥] فيه إجمال بينه بقوله: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ» [آل عمران: ١٦٥]، وقوله: «وَصَبَّحْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ» [آل عمران: ١٥٢]، وعليه يجب على المسلم أن يجتنب أسباب الفشل التي أشارت لها الآيات.

#### المشكلة الثالثة:

اختلاف القلوب الذي هو من أعظم الأسباب في هزيمة الأمة الإسلامية، وقد بين الله تعالى أن سبب هذا الداء الذي عمت به البلوى هو ضعف العقل كما يفهم من قوله: «تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقَوْلُهُمْ شَيْءٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» [الحشر: ١٤]، ولا شك أن ضعف العقل يضعفه عن إدراك الحقائق، وتمييز الحق من الباطل، والنافع عن الضار، وعلاج ذلك الاهتمام بنور الوحي، كما قال الله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ كَانَ يَمِيزًا فَاخْتَبَتْهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّتَلَقَاهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» [الأنعام: ١٢٢].

نسال الله أن يهدينا بنور الوحي إلى طريق الحق.

استعرب الصحابة ما حدث في هزيمة أحد حين لم يقرأ أن ما أصابهم مع نصيب كان مع ذلك أنفسهم.





## نهاية رمضان ..

## واشتداد المحن !!

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM  
GSHATEM@HYAHOO.COM

التوقييد العدد ٥٠٢ السنة الثانية والأربعون

٦

الحمد لله الذي حرّم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرّماً، وبعد:

فما أسرع ما تنقضي الليالي والأيام، وما أعجل ما تنصرم الشهور والأعوام، وهكذا حال الدنيا، سريعة الزوال، قريبة الاضمحلال، لا يدوم لها حال، ولا يطمئن لها بال، وهذه سنة الله في خلقه، أدوار وأطوار تجري باجل مسمى، **وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** [الرعد: ٣٨].

فعن قريب نودع رمضان، وكأنه طيف خيال، ما أعجل ما انقضى، وما أسرع ما انتهى! تنطوي صحيفته، وقد ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، **فَدَأَلِمْ مِنْ دَنِهَا** (١) **وَقَدْ غَابَ مِنْ دَنِهَا** [الشمس: ٩-١٠].

يمضي رمضان بين أهات واحزان، قلوب تنفطر، وعقول تتحير، والدماء تسيل، هان الاخ على اخيه، وهان الصديق على صديقه، بل هان الإنسان على نفسه، أريقت الدماء في بقاع كثيرة من أرض مصر، تاهت العقول، وانتشرت الفتن، وخربت الذمم!

فاللهم إنا نشكو إليك ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس، نسالك برحمتك يا رب العالمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربنا، إلى من تكلنا؟ إلى بعيد يتجهمنا، أم إلى عدو ملكته أمرنا؟ إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي، ولكن عافيتك أوسع لنا، نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن يحل بنا سخطك أو ينزل علينا عذابك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

أيام المرء حبل ممدود

يمضي رمضان، وينسى المرء أن أيامه حبل ممدود، لا يدري متى ينقطع، وطرفاً هذا الحبل ماض ومستقبل، فلربما التفت إلى الماضي وهو يتحسر عليه فيقنط أو يحزن عليه فيكسل، ولربما التفت إلى المستقبل مُشرباً إلى معرفته قبل أوانه وتذوّقه قبل إبانته، وسريعاً ما يتذكر أنه ليس له إلا الحاضر الذي يعيش فيه؛ لأن أمس الماضي لا يجد لذته ولا يحس بشدته، ولأن المستقبل غيبٌ والأمر فيه على خطر، فما للمرء إذن إلا الساعة التي يعيشها، فلن يستطيع ردّ الأمس، ولا تعجيل الغد، فلا يجب البكاء على اللبن المسكوب!!  
يمضي رمضان، ويمضي معه الزمان، وعام تلو عام، والخطب شديد، والفتن جائمة على الصدور،

والغفلة والهوان، والبغض والخسران أصبح هو العنوان، والمرء ما دام ذا روح يقلبها فهو يعيش على أمر قد قدّر له، لا يخلو فيه من مصيبة، وقلما ينفك عن حدوث أمور عجيبة!!

يمضي رمضان وحال مصر قد خيم عليه الحزن الذي يشعر المرء بأن النهار لن يُدرك الليل، وأن الليل لن يعقبه نهار، ليجعل الدقيقة ساعات طويلة، وبالله ما أطول الليل على من لم ينم!! والهم والحزن أصبح يخترم الجسيم نحافة، ويشيب ناصية الصبي ويهرم!!

يمضي رمضان والدماء المحرمة تسيل بقسوة وحمق، دون مراعاة لحرمتها، والقتل والحرق والفتن تهب ريحها البغيضة، وتامر تبدو أطرافه في الداخل ومن الخارج عبر تدخل سافر في شؤون مصر، ومحاولات أوروبية وأمريكية قبيحة لفرض الوصاية وممارسة الضغوط على مصر في محاولة لإذلالها وإضعافها، وتهميش وتفثيت جيشها، ومندوب أمريكي، يتلوه مندوب أوربي، يأتي ويروح، وكان مصر قد أصبحت ولاية من ولايتهم، وأهل مصر قد هانت عليهم فاستقوى البعض بهم وهم لنا كارهون، وعلى الإسلام حاقون، كنا بالأمس أمة يحسب لها العالم كله حساباً، فأصبحنا أقواماً وفرقا وكتلاً واحزاً يتصارع من أجلها الصغير والكبير، وكأنها فريسة قد وقعت!!

كم من منج في طيات المحن !!

يمضي رمضان وتزداد الخطوب، ولكن من يدري فرب ضارة نافعة! وربما صحت الأجسام بالعلل! ورب محنة في طيها منحة! وكم بسمه كانت بعد غصة! ورب فرحة بعد ترحة! والأمل في الله رب العالمين لا ينقطع مهما حدث.

واطمئن! فإن الحوادث والكوارث والخطوب والمحن والفتن التي تمر بها مصر وشعبها لن ينالك منها إلا ما كتب لك، ولن يصرف عنك منها إلا ما كتب أن يصرف عنك، ألم تدر أن عواقب الأمور تتشابه في الغيوب! فرب محبوب في مكروه، ورب خير من شر، **وَصَرَ أَنْ تَجِزُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** [البقرة: ٢١٦].

وقفات مع النفس .. وعودة عن الغي !!

يمضي رمضان.. ويولي مرتحلاً.. يذهب بأعمالنا شاهداً بما أودعنا فيه، فيا ترى قد رُحل حامداً

ما أسرع ما تنقضي الليالي والأيام،  
وما أعجل ما تنصرم الشهور والأعوام،  
وهكذا حال الدنيا، سريعة الزوال،  
قريبة الاضمحلال، لا يدوم لها حال،  
ولا يطمئن لها بال، وهذه سنة الله في  
خلقها، أدوار وأطوار تجري باجل مسمى،  
ولكل أجل كتاب.

الصنيع أو ذاماً التضييع؟

ألا ما أحوج الأمة المصرية إلى وقفات للمحاسبة الجادة والدائمة والمراقبة المستمرة، ومراجعة النفس وتقوى الله، والمحافظة على الهوية الإسلامية لمصر وشعبها، ووقف الهجمة الشرسة على الإسلام وأهله، والأزراء المخزي لهوية مصر، ومحاولة تمييعها وسط الأحداث المتلاحقة، والآلام الناجمة في عظام كل المصريين، فالعمر قصير، والحساب عسير، وسنقف أمام رب عليم بظواهر الأمور وبواطنها، يوم لا ينفع مال ولا بنون، وعرض الدنيا زائل، والكرسي إلى زوال، مهما طال الأمد، فالعمر قصير وسيحاسب الجميع على الصغير والقطمير.

فما أحوجنا إلى التأمل، ومراجعة أحوالنا، والتفكير في الشؤون والأوضاع، وقفات تستلهم منها الأمة العبر والعظات مما حل وفات، وكثرت معه الأهات، وقفات تبصرها بواقعها المؤلم الموحش، وخطوات مستقبلها، ومعالم حاضرها وغدها، وضرورة طي صفحة الماضي البغيض الذي لا نريد له امتداداً، فالإيلام أصبح موحشاً، ولنتخذ من نهاية هذا الشهر الكريم العبر والعظات، فنهاية رمضان فرصة للرجوع، وفرصة يجب على الأمة أفراداً وجماعات حكماً ومحكومين، من هم في السلطة الآن.. ومن كانوا... ومن هم لها منتظرون، أن يتخذ

٧

التوقييد

شوال ١٤٢٤ هـ



يمضي رمضان.. وما زلنا ننتظر  
فرجاً من عند علام الغيوب،  
ينزع قليل الفتنة، حتى تزول  
الغمة، وتعلو الهمة، وتسود روح  
المصالحة، ويتم محاسبة من أجرم  
في حق مصر وأهلها وشعبها.

إلا ويشعر في عبادة أخرى، ولم يجعل الله حداً لطاعة العبد إلا انتهاء عمره، وانقضاء أجله، يقول الله جل وعلا: «رَاعِبِدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» [الحجر: ٩٩]، وهذه هي حقيقة الاستقامة التي وعد الله أصحابها بالنجاة والفوز بعالي الدرجات، فقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَكْفُلُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَنزِلُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْزَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزُولُ مِنْ عَذْرَابِ رَبِّكُمْ» [فصلت: ٣٠، ٣١].

#### فوائد ومعان لصيام الست من شوال

ومما من الله به على عباده بعد انقضاء شهر الصيام والقيام، ورُتِبَ عليه عظيم الأجر والثواب: صيام ستة أيام من شوال التي ثبت في فضائلها العديد من الأحاديث، منها ما رواه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» [مسلم: ١١٦٤].

وفي رواية لابن ماجه عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَامَ سِتَّ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ كَانَ تَمَامَ السَّنَةِ»، «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ لِلَّهِ عَشْرُ أَثْنَالِهَا» [الأنعام: ١٦٠]. [والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب ١٠٠٧].

ولصيام الست من شوال فوائد ومعان نذكر منها: أن العبد يستكمل بصيامها أجر صيام الدهر كله، وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها، فشهر رمضان يعدل عشرة أشهر، وهذه الأيام الستة تعدل شهرين، وقد ثبت ذلك في صحيح الجامع: «جعل الله الحسنة بعشر أمثالها، الشهر بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بعد الشهر تمام السنة» [صحيح الجامع ٣٠٩٤].

ومنها: أن صيام النفل قبل وبعد الفريضة يكمل به ما يحصل في الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تجبر وتكمل بالنوافل يوم القيامة، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة.

ومن الفوائد أيضاً: «أن معاودة الصيام بعد رمضان من علامات القبول، فإن الله إذا تقبل عمل عبده وفقه لعمل صالح بعده، كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك

من علامات القبول للحسنة الأولى».

ومنها: أن معاودة الصيام بعد الفطر فيه شكر لله جل وعلا على نعمته بإتمام صيام رمضان، ومغفرة الذنوب، والعنق من النار، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يشكروه على هذه النعم العظيمة، فقال سبحانه: «وَلْيُكْفِرُوا أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ﴿١٨٥﴾»، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانتة عليه ومغفرة ذنوبه، أن يصوم له عقب ذلك.

ومن الفوائد كذلك: المداومة على فعل الخيرات، وعدم انقطاع الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في رمضان بانقضاء الشهر، ولا شك أن أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليها صاحبها. [صحيح سنن أبي داود للالباني ١٣٦٨].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملاً أثبتته، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمله عليه الصلاة والسلام فقالت: «كان عمله ديمة».

[متفق عليه]، أي دائم ومستمر وغير منقطع. ومن أجل هذا المعنى ذم السلف من انقطع عن العمل الصالح بعد رمضان، فقد قيل لبشر: «إن قوماً يتعددون ويجهتدون في رمضان، فقال: بئس القوم لا يعرفون الله حقاً إلا في رمضان».

وصيام الأيام الستة ليس له وقت محدود من شوال، بل يصومها المسلم في أي وقت من الشهر، في أي جزء من أجزائه، وله كذلك أن يصومها متتابعة أو مفرقة، ولكن الأفضل أن يبادر إلى صيامها عقب عيد الفطر مباشرة، وأن تكون متتابعة - كما نص على ذلك أهل العلم، لأن ذلك أبلغ في تحقيق الاتباع الذي جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: «ثم اتبعه»، كما أنه من المسابقة إلى الخيرات والمسارة في الطاعات الذي جاءت النصوص بالترغيب فيه والثناء على فاعله، وهو أيضاً من الحزم الذي هو من كمال العبد، فإن الفرص لا ينبغي أن تفوت، والمرء لا يدري ما يعرض له من شواغل وقواطع تحول بينه وبين العمل، فإن أخرها أو فرقها على الشهر حصلت الفضيلة أيضاً.

ومن كان عليه قضاء من شهر رمضان فعليه أن يبدأ بقضاء ما عليه أولاً لأن الواجب أولى بالأداء من النافلة، وهذا على سبيل الاستحباب، فإن آخر قضاء الواجب جاز له ذلك؛ لأن قضاء

يجب أن تكون وحدة المسلمين،  
والتألف بينهم، ونبذ الفرقة  
والخلاف، والتجرد من الانتماءات  
والأفكار على اختلاف أهوائهم، غاية  
كبرى وهدفاً أساساً، ومصلحة عليا،  
ونهجاً ثابتاً حتى تنقش الفتنة وتزول  
الغمة، ويسود الأمان والاستقرار،  
فانبدوا الفرقة واتحدوا.

رمضان واجب على التراخي؛ فعن أبي سلمة قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: كان يكون علي الصوم من رمضان فما استطاع أن أقضي إلا في شعبان. قال يحيى: الشغل من النبي أو بالنبي صلى الله عليه وسلم. [صحيح البخاري ١٨٤٩].

#### ضرورة الاتحاد ونبذ الفرقة

وختاماً: فإن ما يجري على الساحة في مصر أرض الكنانة من أحداث لهو نذير خطير لا تفيد معه المسكنات، بل قد تؤخر المعانة نوعاً ما، لكنها لا تعالج أساس المشكلات، ولا تمنع وقوعها مجدداً، فيجب أن تكون وحدة المسلمين، والتألف بينهم، ونبذ الفرقة والخلاف، والتجرد من الانتماءات والأفكار على اختلاف أهوائهم، غاية كبرى وهدفاً أساساً، ومصلحة عليا، ونهجاً ثابتاً حتى تنقش الفتنة وتزول الغمة، ويسود الأمان والاستقرار، فانبدوا الفرقة واتحدوا، اللهم احفظ مصر وأهلها، وأعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وارحم حوزة الدين، اللهم انصر دينك وكتابك، وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم اجمع كلمة المصريين على الحق، اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين.



# تفسير سورة غافر

## الحلقة الرابعة

قال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُوَّةٍ إِنَّ آتِافَ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ نِجْمٍ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْرَابُ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعَالَمِينَ (٣١) وَنَقَرَهُمْ بِإِنَّ آتِافَ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ نِجْمٍ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْرَابُ (٣٢) يَوْمَ تُكَلَّفُونَ مِثْلَ مَقْدُونٍ مِمَّا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ عَمَلٍ مَمْقُوتٍ مَمْقُوتٍ أَهْلُهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا» وَكَذَلِكَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالْمَقْتُ الْبَغْضُ الشَّدِيدُ، كَذَلِكَ يُطِيعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنِي لِي صَرِيحًا لَعَلِّي أَتْلُوهُ (٣٦) أَسْبَغَ السَّمَكُوتِ فَالْمَلِجُ إِلَى اللَّهِ مُوَسَّى وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ مَوْتُهُ عَمَلُهُ وَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَمَا كُنْتُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُوَّةٍ أَتَمُورُونَ بِأَعْيُنِكُمْ سَيْبِلَ الرِّسَالِ (٣٨) بِقُوَّةٍ إِنَّمَا هَؤُلَاءِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا يَنْفَلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) \* وَنَقَرَهُ مَا لِي أَدْعُوَكُمْ إِلَى الْحَيَوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِزِ الْغَيْرِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَإِنَّ الشَّرِيفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَتَذَكَّرْتُمْ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَنْفُسُ أَسْرِتْ إِلَى اللَّهِ إِنَّكَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) [غافر: ٣٠-٤٤]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:  
ولم يياس الرجل المؤمن، فعاد ينصح ويذكر، «مَعْدِرَةٌ إِنْ رَيْتُمْ وَلَقَدْ يَنْفَقُونَ» [الاعراف: ١٦٤]

«وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ» الَّذِينَ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، حَيْثُ قَالَ: «كَانَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَيَحْدِلُوا إِلَّا ظِلًّا لِيُخْضَرُوا بِهِ لَقَدْ أَتَيْنَاهُمْ فَبَكَفَ كَانَ عِقَابِ» [غافر: ٥]

د. عبد العظيم بدوي

إعداد

فالرجل المؤمن يخوف قومه إن يصيبهم مثل ما أصاب الذين من قبلهم، «مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ» أَهْلُكُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ، «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ»، فَقَدْ حَرَّمَ سُبْحَانَهُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ، وَصَرَّحَ بِذَلِكَ كَثِيرًا فِي كِتَابِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبَيِّنَ فِي آيَاتِهَا

رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ» [القصص: ٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّيْئَةَ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَهْدِيُونَهَا» [يونس: ٤٤].

ولما خوفهم عذاب الدنيا، انتقل إلى تخويفهم من عذاب الآخرة، مكرراً نداءهم استعطافاً لهم واسترحاماً، ليشعروا بأنه منهم، حريص عليهم، فقال: «وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ»، يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَرَأَ «التَّنَادَ» بِتَخْفِيفِ الدَّالِ، مِنَ النَّدَاءِ، سُمِّيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِذَلِكَ لِلنَّدَائَاتِ الَّتِي تَكُونُ فِيهِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي النَّاسُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» [ق: ٤١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنِ مَدَّ وَجْهًا مَّا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا لَا فَذَنْ مَوْذُنًا بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» [الاعراف: ٤٤]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَابِ بِمَا لَا يَفْقَهُونَ بِيَمِينِهِمْ قَالُوا مَا أَفْقَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ فَتَنَكَّرُونَ» [الاعراف: ٤٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ» [الاعراف: ٥٠].

وقرأ «التَّنَادَ» بِتَشْدِيدِ الدَّالِ، مِنْ: نَدَّ يَنْدُ، إِذَا شَرِدَ وَهَرَبَ، «يَوْمَ تُكَلَّفُونَ مِثْلَ مَقْدُونٍ مِمَّا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ».

وكان الرجل المؤمن لم ير استجابة، ولم يستشعر منهم قبولا، فقال لنفسه: «وَمَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ»، كَانَهُ يَقُولُ: لَقَدْ حَرَصْتُ عَلَى هِدَايَتِكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَضَلَّكُمْ، «وَمَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ»، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى هِدَايَةِ عَمِهِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا مَاتَ عَلَى الْكَفْرِ قَالَ اللَّهُ لَهُ: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» [القصص: ٥٦].

ومع ذلك استمر رضي الله عنه في وعظهم وتذكيرهم، فقال: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ» كَمَا جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ، «فَمَا زِلْتُمْ فِي

شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ»، كَمَا شَكَّكُمْ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ مُوسَى، «حَتَّى إِذَا هَلَكَ» أَي مَاتَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» فَعَلَى أَي شَيْءٍ اسْتَنْدَدْتُمْ فِي قَوْلِكُمْ هَذَا؟ وَمَا هُوَ دَلِيلُكُمْ؟ «كَذَلِكَ» أَي: كَمَا أَضَلَّ اللَّهُ تَعَالَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ، «يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ» وَهُمْ «الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ عَمَلٍ مَمْقُوتٍ، مَمْقُوتٍ أَهْلُهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا» وَالْمَقْتُ الْبَغْضُ الشَّدِيدُ، كَذَلِكَ يُطِيعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ: فَذُو الْقَلْبِ الْمُتَكَبِّرِ الْجَبَّارِ يُطِيعُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَا يَرَى الْحَقَّ حَقًّا، وَلَا يَرَى الْبَاطِلَ بَاطِلًا، وَرَبِّمَا رَأَى الْحَقَّ بَاطِلًا، وَالْبَاطِلَ حَقًّا: كَمَا قَالَ تَعَالَى: «سَاءَ صَرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا لَا يُذَوُّوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا أَرْدًا لَا يَخْذَلُوهُ سَيْلًا وَإِنْ يَرَوْا كَيْدًا لَيْسَ يَخْذَلُوهُ سَيْلًا» [الاعراف: ١٤٦]، وَالسَّبَبُ فِي صَرَفِهِمْ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ هُوَ تَكْذِيبُهُمْ بِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «فَالِكُ يَأْتِيهِمْ كَذِبًا وَمَا يَنْفَعُهُمْ وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ» [الاعراف: ١٤٦].

وقد صرح ربنا سبحانه بهذه العلة للطبع على قلوب القوم في أكثر من آية، قَالَ تَعَالَى: «لَقَدْ رَأَوْا نَزْلَ اللَّهِ فَظَنُّوا أَنَّهُ سَحَابٌ مُمِيزٌ» [الأنعام: ١٠١]، وَقَالَ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا كَفَرُوا فَطُغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» [الأنعام: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: «وَقُلُوبُهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْكَفْرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ» [الأنعام: ١١٠].

### موعظة بليغة:

«وَقَالَ الَّذِي آمَنَ بِقُوَّةٍ أَتَمُورُونَ بِأَعْيُنِكُمْ سَيْبِلَ الرِّسَالِ (٣٨) بِقُوَّةٍ إِنَّمَا هَؤُلَاءِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا يَنْفَلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) \* وَنَقَرَهُ مَا لِي أَدْعُوَكُمْ إِلَى الْحَيَوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١)



تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ. مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ الْفَقِيرِ (١١) لَا جَرَمَ أَنَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتَى الشَّرِيفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (١٢) فَتَذَكَّرْتُمْ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَقْوَمُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٣) فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا تَعَكَّرُوا وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْمَكَابِ (١٤) أَتَأْتُرُ بِمُرْسُوتٍ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ [غافر: ٣٦-٤٦]:

بعد هذه الموعظة البليغة من الرجل المؤمن أراد فرعون أن يتظاهر بالبحث عن الحقيقة، فنادى على وزيره: «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُنْ أَبْنِي لِي صَرِيحًا لَعَلِّي أَتْلُعُ الْأَسْبَابَ (١٢) أَتَسْبِي السَّمَوَاتِ فَأَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَذِبًا»:

الصرح: القصر المشيد، والبرج العالي الرفيع، زعم فرعون أنه يريد الصعود إلى السماء للبحث عن إله موسى، الذي يدعوهم إلى عبادته، وترك عبادة فرعون، وصرح باعتقاده كذب موسى، ولكن ليبرئ ساحته أمام قومه، وأنه حين يصير على أن لا إله لهم غيره، فإنما يصير بعد بحث، فنقر هذه الحقيقة في قلوبهم.

وفي محاولته الصعود إلى السماء دون أية جهة أخرى دليل على أن موسى عليه السلام قد صرح لهم بأن ربه في السماء، وبذلك تكون هذه العقيدة، عقيدة أن الله في السماء، على العرش استوى، عقيدة موسى صلى الله عليه وسلم، كما أنها عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: «وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ» من الشرك والتكذيب، والصد عن سبيل الله، «وَصُدُّ» هو «عَنِ السَّبِيلِ» سبيل الهدى والرشاد، «وَمَا كُنْتُ فِرْعَوْنُ» الذي يكيد به لموسى ليبطل ما جاء به من الحق من عند ربه، «إِلَّا فِي تَبَابٍ» وخسار، وما هو ببالغ ما يريد، كما سيجيء في قول الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ

بَغْيِرِ سُلْطَانٍ أَنَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ».

ووجد الرجل المؤمن نفسه مضطراً إلى التصريح بإيمانه، والتصريح بدعوتهم إلى اتباعه، بعد ما لم ينفع التلميح، ولكنه لم يترك أسلوب الاستعطاف والاسترحام:

«وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ»، فهو بذلك يكذب فرعون في قوله السابق: «وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ»، فسبيل الرشاد هو ما جاء به موسى، وما يدعوهم إليه ذلك المؤمن، لا ما يدعوهم إليه فرعون، ثم رغبتهم في اتباعه ببيان حقيقة الدنيا والآخرة، ليؤثروا الآخرة على الدنيا، فقال: «يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ».

والمعنى: أنه يستمتع بهذه الحياة الدنيا في أيام قليلة، ثم تنقطع وتزول، وأما الآخرة فهي دار القرار والبقاء والدوام، وحاصل الكلام أن الآخرة باقية دائمة، والدنيا منقضية منقرضة، والدائم خير من المنقضي. وقال بغض العارفين: لو كانت الدنيا ذهباً فانيأ، والآخرة خرفاً باقياً، لكانت الآخرة خيراً من الدنيا، فكيف والدنيا خرف فأن، والآخرة ذهب باقي. [التفسير الكبير (٢٧/ ٥١٨)].

#### قانون الجزاء

ثم ذكر رضي الله عنه قانون الجزاء الذي يجزي الله به عبادته يوم القيامة، فقال: «مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ»:

قال الرّمخشري- عفا الله عنه-: قوله: «بَغْيِرِ حِسَابٍ» واقع في مقابلة «إِلَّا مِثْلُهَا»، يعني: أن جزاء السيئة لها حساب وتقدير، لئلا يزيد على الاستحقاق، فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب، بل ما شئت

من الزيادة على الحق والكثرة والسعة. [الكشاف (٣/ ٣٧٢)].

وبدل عليه قوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ لَا يُظْلَمُونَ» [الأنعام: ١٦٠]، وقوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَزَيَّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» [النساء: ١٧٣].

ثم انكر الرجل المؤمن على قومه إصرارهم على الكفر والشرك، فقال:

«يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ؟» ثم فسّر قوله هذا بقوله: «تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ»:

ولا شك في أن من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الهلاك والخسران، والعذاب المهين، فقد قال تعالى: «إِنَّهُ مَنِ اشْرَكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» [المائدة: ٧٢]، ولما

حذرنا ربنا سبحانه من اتباع الشيطان قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ الْمُحْضَرِّينَ» [فاطر: ٦]، والشيطان لم يدع صراحة إلى عذاب السعير، وإنما دعاهم إلى عبادة غير الله، ولذلك قال عن فرعون وقومه: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَهْمَةً كِذْبَتِ إِلَى الْكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ» [القصص: ٤١]، فكانت تلك دعوتهم له، أما هو

رضي الله عنه فهو يدعوهم إلى النجاة من النار، والفوز بالجنة، وذلك بالإيمان بالله العزيز، الذي لا يعجز عن شيء، ولا يُعجزه شيء، فإذا أراد أن يعذب من كفر به عذبه، «وَمَا لَهُمْ مِنْ آتٍ مِنْ رَبِّ» [الرعد: ٣٤]، وهو سبحانه مع عزته غفار لمن استغفره، كما قال تعالى: «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا» [النساء: ١١٠].

«لَا جَرَمَ أَنَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ» يقول رضي

الله عنه: حقاً، إنما تدعونني إلى عبادته من الأوثان لا يستجيب لداعيه إذا دعاه في الدنيا، ولا يستجيب له أيضاً إذا دعاه في الآخرة، كما قال تعالى: «وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَدَعُوا دُعَائِهِمْ غَيْرُونَ» [الاحقاف: ٥]، وقال تعالى: «وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا» [الكهف: ٥٢]، ومن لا يستجيب لمن دعاه ليس بالله.

ثم ذكرهم رضي الله عنه بالرجوع إلى الله، وخوفهم من عذابه، فقال: «وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ» [النجم: ٣١]، «فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَزَيَّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَخُفُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» [النساء: ١٧٣]، ولذلك قال الرجل المؤمن: «وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ».

ثم أعلمهم أنه قد بذل جهده في النصيح لهم، ولم يدخر وسعاً في دعوتهم، فإن لم يستجيبوا له فسيندمون في وقت لا ينفع فيه الندم، فقال: «فَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ» إذا عاينتم العذاب، وعرضتم على النار، وستعلمون أنني كنت على الحق، وعلى صراط مستقيم، ولن تنفعكم الذكرى، كما قال تعالى: «كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (١٠) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (١١) وَجِئَتْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى» [الفجر: ٢١-٢٣].

ولما فرغ رضي الله عنه من موعظته، ورأى أنهم قد أصرّوا على الكفر، واستكبروا عن الإيمان، وعلم أنهم غير تاركيه، فر إلى الله، ولجا إليه، واعتصم به، فقال: «وَأَفُوضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» يعلم المصلح من المفسد، والبر من الفاجر، والمؤمن من الكافر.

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.



# حكم أعمال البورصة

الاجلة الثانية

د. علي السالوس

إعداد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، واله  
وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في لقاء سابق عن أحكام البيع، ونشأة  
البورصة، وعن معنى الأسهم، ونكمل حديثنا عن

البورصة فنقول وبالله تعالى التوفيق:  
كيف يتم الشراء في البورصة؟

في البيع في السوق العاجل يشتري المتعامل أو  
يبيع ويقبض، فإذا كان السهم حلالاً فالعقد صحيح  
حلال، ولكن نأتي إلى البيع الآجل سواء أكان هذا  
في أسواق الأوراق المالية، أم البضائع، أم النقود،  
هذا البيع الآجل ماذا يعني؟

له صور مختلفة: منه ما يسمى بالبيع البات، وهو  
بيع أجل وبات، أي نهائي، بمعنى أن المشتري  
والبائع يتفقا على شراء أسهم معينة محددة  
تسمح بها نظم البورصة، فالبورصة تجعل البيع  
لعدد معين ومضاعفاته، وتتم الصفقة والتمن كم  
هو؟ سواء زاد عن وقت الاتفاق، أم قل، أم بقي كما  
هو؟ فإذا كان أكثر أو أقل ننظر هنا: الصالح البائع  
أم المشتري؟

نضرب مثلاً: البائع اتفق على شراء أسهم معينة  
بسرعة مائة، معنى هذا أن البائع ملتزم ببيع أسهم  
من هذا النوع في وقت التصفية بسعر مائة، وأن  
المشتري يلتزم بشراء هذه الأسهم بسعر مائة؛ فإذا  
كان السعر السائد في وقتها مائة انتهى الأمر بلا  
كسب ولا خسارة إلا بقدر ما يخسره المتعاملون في  
البورصة، وهو ما يدفع للإدارة والسماسة، إذن  
يسلم الأسهم ويأخذ الثمن، ولكن لا حاجة إلى هذه؛  
لأنه لا يبيع ولا شراء أصلاً في الواقع، وإنما هو ما  
يسمى بالمضاربة.

والحقيقة أن في البورصة أسماء تلتبس مثل كلمتي  
مضاربة ومراجحة: المضاربة في الإسلام تعني شركة  
يكون فيها رأس المال من جانب والعمل من جانب،  
والربح يقسم بين الاثنين بالنسبة المتفق عليها، أما  
المضاربة في البورصة فتعني المقامرة، كيف هذا؟  
المشتري عندما يشتري بمائة لأنه يضارب - يقامر -

على الزيادة، والبائع عندما باع بمائة إنما باع لأنه  
يتوقع النقصان.

فمثلاً: السهم الذي اتفق عليه بمائة في موعد  
التصفية أصبح يباع حالا في السوق العاجلة بمائة  
وعشرة، المشتري اشتري بمائة، فمعنى هذا أنه يأخذ  
من البائع بمائة ويبيع هو بمائة وعشرة، والمسألة  
لا تحتاج إلى تعب وتسليم وتسليم، وإنما الوسيط  
الذي يقوم بالعملتين يسجل العملية الأولى بأن  
المشتري اشتري مثلاً ألف سهم بسعر مائة، ثم الآن  
له هذا الألف بسعر مائة وعشرة، فالمكسب عشرة  
ألف، يقيد لحسابه، وهذه تعني أنها تخصم من  
حساب البائع، ولذلك قلت بأنه لا كسب لأحد إلا على  
حساب الآخر، تماماً كالمقامرين.

لنفرض أن هذا السهم جاء على غير ما توقع،  
المشتري توقع أن يزيد فإذا به ينخفض بخمسة  
وتسعين ويبيع بمائة، ولكن الوسيط والقائمين  
على البورصة يسهلون المسألة، لا حاجة إلى  
تسليم وتسليم، ما جاء به الإسلام من مسألة القبض  
والتسليم والتسليم هذا أمر لا حاجة إليه عند هؤلاء،  
أنت الآن بعت واتفقت على أن تباع بمائة، والسعر  
الآن أصبح خمسة وتسعين، يعني إذن اشتريت  
بخمسة وتسعين تباع بمائة، وتكسب خمسة، فلك  
خمسة آلاف، فيكون هذا كسباً لمن باع خصماً من  
حساب المشتري، هذه حالة، فهل مثل هذا يمكن أن  
يعد بيعاً أو شراءً؟

شيء آخر: المشتري قد يحاط لنفسه، يخشى أن  
تنخفض الأسعار لدرجة كبيرة جداً، فيشتري مع  
خيار شرطي، بأن يتم الصفقة أو يدفع  
تعويضاً للبائع. وتوضيح هذا: أن

المشتري يشتري ويجعل لنفسه

الخيار: يتفق مع البائع بأنه

له الخيار: إما أن يتم البيع،

أو يدفع له تعويضاً، ففي

الحالة السابقة قد

يشتري المشتري بمائة

مع شرط التعويض

بخمسة إذا رغب في عدم إتمام الصفقة، فعندما  
يأتي الوقت إما أن يشتري بمائة، أو يترك الصفقة  
ويدفع خمسة عن كل سهم، فلو فرضنا أن السعر في  
وقتها أصبح بمائة فإنه يشتري حتى لا يخسر، وإن  
كان بمائة وعشرة فهي فرصة للكسب، لأنه يشتري  
ويبيع بمائة وعشرة، وإن كان بخمسة وتسعين  
استوى عنده إتمام الصفقة وعدم إتمامها، فهو  
خاسر حتماً، والخسارة واحدة: إذا اشتري بمائة  
وباع بخمسة وتسعين خسر خمسة، وإذا لم ينفذ  
العملية خسر خمسة، فالوسيط يقيد عليه عدد  
الأسهم وخسارتها، ولو أن قيمة الأسهم قلت عن هذا  
فاصبحت مثلاً بثمانين فإنه يخسر عشرين في كل  
سهم إذا أتم الصفقة، ولهذا فإنه لا يتمها، ويكتفي  
بدفع التعويض للبائع، هذا بالنسبة للمشتري.

أما البائع فإنه على عكس هذا، يتوقع انخفاض  
السعر فيبيع مع شرط الخيار له أيضاً في أن يتم  
الصفقة أو يدفع تعويضاً، فإذا اتفق بمائة، ثم  
أصبح سعر السهم عند التصفية تسعين، يشتري  
بتسعين ويبيع بمائة ويربح عشرة، وإذا أصبح  
بمائة يبيع ويشتري ولا يدفع تعويضاً، ولا يربح  
ولا يخسر إلا الخسارة التي اشترت إليها من قبل -  
وهي ما يأخذه السماسرة وإدارة البورصة.

وإذا وصل سعر السهم إلى مائة وخمسة، وكان  
قد اتفق أن يبيع بمائة، فلو اشتري من السوق  
العاجل بمائة وخمسة وباعه بمائة خسر خمسة،  
والتعويض أصلاً خمسة، فهو سيدفع التعويض  
لا محالة، وإذا ارتفع السعر أكثر من هذا أصبح  
مائة وعشرة، أو مائة وعشرين، فهنا لا ينفذ العملية  
وإنما يدفع التعويض وهو خمسة.

فهذا كما نرى شرط للمشتري أو للبائع، ولا ثمن  
ولا سلعة، ولا تسليم ولا تسلم، وإنما هي مسألة  
أن هذا يتوقع أن يكون السوق في اتجاه الارتفاع،  
والآخر يضارب - أي يقامر - في اتجاه الانخفاض،  
فإذا جاء - كما توقع أحدهما - ربح على حساب  
الآخر الذي جاء على خلاف توقعه.

خيار الشرط في البيع في الفقه الإسلامي:

قد يأتي واحد يقول هنا: البيع  
في الإسلام فيه خيار الشرط،  
وأجازه الأئمة الأعلام؟

نعم يوجد خيار الشرط،  
ولكن ما معنى خيار  
الشرط في البيع في  
الفقه الإسلامي؟ عندما

خيار المجلس وخيار الرؤية وخيار التعيين وخيار  
العيب وهكذا، خيارات مختلفة: «البيع بالخيار  
ما لم يتفرقا» متفق عليه.

إن خيار الشرط يعني أن البائع عندما يبيع السلعة  
يسلم، ويتسلم المشتري، قد يشترط المشتري الخيار  
مدة يوم أو يومين أو ثلاثة مثلاً، بحيث إنه في  
هذه المدة يشاور، قد يكون اشتراؤه لغيره فيسأل  
غيره، قد يكون على دراية بالسوق، فيقول هنا: لي  
خيار يوم أو يومين أو ثلاثة حتى أبحث: هل السعر  
مناسب أم لا؟

والبائع كذلك قد يجعل خياراً لنفسه، وخيار الشرط  
يعني أن المدة إذا انقضت ولم ينفخ البيع فإن البيع  
تام كما هو، لا زيادة ولا نقصان ولا تعويض، إذا  
جاء المشتري في مدة الخيار وفسخ البيع أخذ  
البائع سلعته وأخذ المشتري الثمن، إذا كان جاء  
البائع وكان له حق الخيار - خيار الشرط - وأراد أن  
يسترد سلعته أخذها ورد الثمن.

هذا معنى خيار الشرط، أما أن يكون الخيار بمعنى  
السلعة ولا ثمن، وأن هنا تخميناً وظناً أن السعر  
قد يكون كذا، فهذا أشبه في الحقيقة بموائد القمار؛  
لأن الهدف الأساسي هنا هو المضاربة كما يقولون،  
ولكن الواقع أنها المقامرة: المترجمون ترجموا الكلمة  
إلى العربية بكلمة مضاربة، لأن المترجمون أيضاً لا  
يعرفون معنى المضاربة الإسلامية، ولذلك وجدنا  
أن بعض المسلمين الذين فهموا معنى مضاربة  
إسلامية عندما جاءوا للترجمة قالوا نسمي هذه  
مقامرة، وأقول: إنها ليست مقامرة، إلا إذا اعتبرنا  
القمار نوعاً من التجارة، فإنه لا تسلم ولا تسليم ولا  
بيع ولا شراء، وإنما كل واحد يضارب الآخر على  
الصعود أو الهبوط، أي يقامره.

صورة أخرى من صور التعامل في البورصة:

وأنقل بعد هذا لبيان صورة أخرى من صور  
التعامل في البورصة وهي: أن يحدد سعراً أدنى  
وأعلى للبيع أو الشراء، على أن يكون للمشتري  
أو للبائع الخيار، في ماذا؟ السعر مثلاً قد اتفق  
على أنه من سبعين إلى ثمانين، والخيار للمشتري،  
والخيار للمشتري يعني أنه إما أن يبيع بسبعين،  
وإما أن يشتري بثمانين، ومعنى هذا أن المشتري -  
عندما يأتي وقت التصفية - إما أن يخلل مشترياً،  
وإما أن يتحول هو إلى بائع، والبائع يتحول إلى  
مشتري.

فإذا كان السعر سبعين باعه بسبعين، وإذا كان  
ثمانين اشتري بثمانين، وإذا كان السعر بين





السبعين والثمانين فإن البائع يربح، لأن المشتري إذا اختار أن يكون بائعاً فسيبيع له سبعين، يعني لو فرضنا مثلاً أنه كان بخمسة وسبعين فالمشتري الذي له الخيار: إذا قال أنا أبيع فإنه يبيع سبعين، ويخسر خمسة، أو يشتري بثمانين، فالبايع يشتري بخمسة وسبعين ويبيع بثمانين، أي أن البائع في حالة الخيار للمشتري يربح إذا كان السعر بين السعريين: السبعين والثمانين، أما إن زاد عن الثمانين أو قل عن السبعين فإن البائع لا بد أن يخسر والمشتري الذي قامره يكسب بقدر خسارة خصمه، بأن يتحول إلى بائع، ويظل مشترياً، والعكس بالنسبة للبائع لو أن الخيار كان له.

#### المرابحة في البورصة:

ونترك المضاربة ونأتي إلى ما يسمى في البورصة بالمرابحة:

قد يأتي الوقت المحدد للتصفية، ولا يستطيع المشتري أن يتم الصفقة؛ لأن الأسعار تطورت طوراً كبيرة على خلاف ما توقع، فقد يكون اشترى بمائة وثلاثين فإذا به يصل إلى مائة، فعليه عندئذ أن يشتري الأسهم بمائة وثلاثين، ويبيع بمائة، فيخسر ثلاثين في كل سهم، ويمكن أن يكون اشترى فإذا وجد المشتري أنه لا يستطيع أن يتم الصفقة في الموعد، فهنا يمكن أن يؤجل هذه الصفقة إلى التصفية التالية عن طريق التأجيل بالمرابحة.

وقد يختلط الأمر عند سماع كلمة المرابحة، ونحن نعرف أن المصارف الإسلامية تباع بالمرابحة، ولكن الأمر مختلف تماماً بين المضاربة في البورصة والمضاربة في الإسلام. فالمرابحة في البورصة لا تعني المرابحة في المصارف الإسلامية؛ لأن المرابحة في المصارف الإسلامية تعني أن المصرف له الحق في بيع السلعة متى اشتراها وامتلكها وحازها، وضمن هلاكها قبل التسليم، ثم يقع على المصرف تبعة الرد بالعيب الخفي بعد البيع.

أما التأجيل بالمرابحة هنا فمعناه أنه يبحث عن ممول يخرج منه ورطته هذه، مقابل زيادة فائدة، فسمي هذا: زيادة بالمرابحة أو تأجيلاً بالمرابحة، أي قرض ربوي مقابل التأجيل. والبائع قد يخسر ولا

يستطيع تنفيذ الصفقة، فيؤجل بالوضعية، الوضعية أيضاً نعرفها في الإسلام، عندنا في الفقه الإسلامي بيع المساومة وبيع الأمانة، فبيع المساومة هو البيع الشائع الذي يتم به الشراء دون إشارة إلى ربح البائع أو عدم ربحه أو خسارته. أما بيع الأمانة فإنها تعتمد على أمانة البيع، وتنقسم إلى مرابحة تولية وحطيطة أو وضعية: فالمرابحة تكون عندما يتفق البائع مع المشتري على البيع مع تحديد ربح معين، كان يقول: هذه كلفتني مائة وأبيعها لك بمائة وعشرة. هذا بيع المرابحة. وقد يكون عند التاجر سلعة يريد أن يتخلص منها فيقول: أنا أبيعها بسعر التكلفة، فهذا بيع التولية: يعني لا ربح ولا خسارة.

وقد يخشى التاجر على البضاعة أن تتلف - أو لسبب ما - فيقول: أنا أبيعها وأخسر فيه عشرة في المائة مثلاً، فهذا يسمى بيع الحطيطة أو الوضعية. أما في البورصة فإن الوضعية لا تعني هذا، إنما تعني أن البائع إذا ارتفعت عليه الأسعار، وأصبحت خسارته كبيرة، فأراد تأجيل الصفقة فعليه أن يجد متعاملاً يملك النوع المطلوب من الأوراق المالية، فيشتريها منه، ثم يبيعها له مرة أخرى على أساس موعد التصفية التالي حسب التقاض، أي تتم إعارة هذه الأوراق مقابل فائدة ربوية تسمى وضعية.

فالمرابحة في البورصة قرض ربوي للمشتري والوضعية قرض ربوي للبائع. وأحياناً تكون العملية مركبة بحيث يشترط أكثر من شرط، أو يدخل ليشتري هنا ويبيع هناك، حتى إذا كان الاتجاه في الصعود يقلل من الخسارة، وكذلك إذا كان الاتجاه في الهبوط. البيع الأجل في الواقع لا يعني بيعاً ولا شراء، ولا تسليمًا ولا تسليماً، ففي بورصة نيويورك - على سبيل المثال - عندما قاموا بإحصائية وجدوا أن القبض الفعلي لا يكاد يصل إلى اثنين في المائة، معنى هذا أن الداخلين إلى سوق البيع الأجل إنما هم مريدون للمضاربة، أي المقامرة، فلا يريدون الشراء وليسوا في حاجة إلى أسهم، وإنما هم يدخلون السوق من أجل المقامرة بمعنى إذا رأى أن السعر سيرتفع من وجهة نظره اشترى، وإذا رأى أنه سينخفض باع بسعر معين. وللحديث بقية في العدد القادم إن شاء الله.



## أعظم الكرامة

## لزوم

## الاستقامة

د. مرزوق محمد مرزوق

(إعداد)



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:  
عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ قَالَ: « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ »

#### أولاً: تخريج الحديث

(أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام (١ / ٦٥) حديث (٣٨)، ط/دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وانفرد به عن البخاري، واللفظ له.

وأخرجه الترمذي في «كتاب الزهد» «باب ما جاء في حفظ اللسان» حديث (٢٤١٠)، (٤ / ٦٠٧)، ط/دار إحياء التراث العربي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، وزاد فيه «قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ قال: هذا، وأخذ بلسانه».

وأخرجه ابن ماجه في «كتاب الفتن» «باب كف اللسان في الفتنة» حديث (٣٩٧٢)، (٢ / ١٣١٤)، ط/دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وزاد فيه ما زاده الترمذي.

وأخرجه ابن حبان «كتاب الحظر والإباحة»، «باب ما يكره من الكلام وما لا يكره»، (٥/١٣)، ط/مؤسسة الرسالة تحقيق شعيب الأرنؤوط.

#### فائدتان على تخريج الحديث:

لم يرو مسلم لسفيان بن عبد الله راوي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث.

ولم يرو له البخاري ولا روى له في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً. [انظر: الديباج على مسلم لأبي الفضل السيوطي (١ / ٥٦)، ط/دار ابن



عفان، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري].

#### ثانياً: رجال الحديث

سُفْيَان بن عبد الله الثَّقَفِي: هو ابن ربيعة بن الحارث الثَّقَفِي الطائفي صحابي، وكان عامل عمر على الطائف [تقريب التهذيب لابن حجر ( ١ / ٢٤٣٦)، ط١/ دار الرشيد، تحقيق: محمد عوامة].

عروة: هو ابن الزبير بن العوام، مدني تابعي ثقة، كان رجلاً صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن ووقعت في ركبته الأكلة فقطعها ولم يترك جزء تلك الليلة [انظر: معرفة الثقات للعجلي (ج ٢ ص ١٣٣)، ط١/ مكتبة الدار].

هشام بن عروة: هو ابن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ثقة فقيه، ربما دلس، من الخامسة، مات سنة خمس أو ست وأربعين وله سبع وثمانون سنة [تقريب التهذيب ج ١ ص ٧٢٩٧]، ووثقه العجلي [انظر: معرفة الثقات (ج ٢ ص ٣٣٢)، ط١/ مكتبة الدار].

فائدة: قلت: قول الحافظ (ربما دلس) فسره لنا - الحافظ - في طبقات المدلسين بعدما وضعه في الطبقة الأولى (وهم من لم يوصف بالتدليس إلا نادراً)، ثم قال: ذكره بذلك أبو الحسن القطان، وأنكره الذهبي وابن القطان، فإن الحكاية المشهورة عنه أنه قدم العراق ثلاث مرات، ففي الأولى حدث عن أبيه فصرح بسماعه، وفي الثانية حدث بالكثير فلم يصرح بالقصة، وهي تقتضي أنه حدث عنه بما لم يسمعه منه، وهذا هو التدليس (قلت: أي أنه في المرة الثانية كان يحدث عن أبيه ما لم يسمعه منه مباشرة؛ لذا لم يصرح بالسماع) [انظر: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس المعروف بطبقات المدلسين لابن حجر، ص ٢٦، ط١/ مكتبة المنار].

قلت: ومن وضعه الحافظ في الطبقة الأولى والثانية هم من احتمل الأئمة تدليسهم، وأخرجوا لهم في الصحيح كحيى بن سعيد الأنصاري من الأولى، والثوري من الثانية، وعليه فلا إشكال في صحة الحديث للحديثيات

التالية:

١- تخريج الإمام مسلم للحديث يُعد حكماً بصحته.

٢- هشام بن عروة من رجال الصحيحين، بل خرج له الجماعة.

٣- أن تدليسه من الطبقة الأولى كما سبق بيانه فهو حديث صحيح والحمد لله. [انظر: طبقات المدلسين ص ١٣].

#### ثالثاً: شرح ألفاظ الحديث

قوله: «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك»: أي علمني قولاً جامعاً لمعاني الإسلام واضحاً في نفسه؛ بحيث لا يحتاج إلى تفسير غيرك، أعمل عليه وأتقي به، فاجابه صلى الله عليه وسلم بقوله: «قل أمنت بالله ثم استقم». [شرح الأربعين النووية ( ١ / ٢٠ )، ولفظ الترمذي وابن ماجه (حدثني بامر اعتصم به): أي استمسك به [تحفة الأحوذى للمباركفوري ( ٧ / ٧٧ ط١/ دار الكتب العلمية )، والجمع بينهما: أي قل لي قولاً جامعاً استمسك به، ولا احتاج بعده إلى سؤال غيرك.

قوله: «قل أمنت بالله ثم استقم» قال النووي: قال القاضي عياض رحمه الله: هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وهو مطابق لقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا» [الأحقاف: ١٣] أي وحدوا الله وأمنوا به، ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك. وعلى ما ذكرناه أكثر المفسرين من الصحابة فمن بعدهم، وهو معنى الحديث إن شاء الله تعالى، هذا آخر كلام القاضي رحمه الله. [شرح النووي على صحيح مسلم ( ٢ / ٩ ط١/ دار إحياء التراث العربي)].

#### ومعنى الاستقامة:

لغة: الاعتدال، وهي مصدر استقام: أي اعتدل واستوى [انظر لسان العرب (١٢/ ٤٩٩)، ط١/ دار صادر].

وفي الشرع: هي سلوك الطريق المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا

يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك. [انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (١٩٣)].

وذكر البغوي رواية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «استقاموا لله ولم يروغوا روغان الثعالب»، وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «لم يشركوا بالله شيئاً». [شرح السنة للبغوي (١/ ٣١ ط٢/ المكتب الإسلامي تحقيق: شعيب الأرناؤوط)].

قوله: (ما أخوف ما تخاف علي) (وهي زيادة عند الترمذي، وابن ماجه): ما الأولى استفهامية مبتدأ خبره أخوف، وهو اسم تفضيل، وما الثانية موصولة: أي ما أخوف الأشياء التي تخاف منها علي يا رسول الله. (فاخذ بلسان نفسه، ثم قال هذا): أي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بلسان نفسه، ثم قال هذا، والمعنى: هذا أكثر خوفي عليك منه (وهي أيضاً زيادة عند الترمذي وابن ماجه) [تحفة الأحوذى للمباركفوري ( ٧ / ٧٧ ط١/ دار الكتب العلمية )].

#### رابعاً: من فوائد الحديث

الحديث دليل على حرص الصحابة رضوان الله عليهم على العلم، وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أهم الأعمال وأحكامها، وعلى تعلم الدين، وهذا مفهوم واضح من سؤال الصحابي للنبي صلى الله عليه وسلم، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» [جزء من حديث متفق عليه في البخاري برقم (٣٤١١)، ومسلم برقم (١٨٤٧)].

الحديث من جوامع الكلم التي أوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم، ففي هذين الأمرين جمع النبي الدين كله، ولذا بؤب الإمام مسلم عليه بـ «باب جامع أوصاف الإسلام»، فالحديث شمل عمل القلب وهو الإيمان، وعمل الجوارح وهي الاستقامة، فهو شامل للظاهر والباطن. شرح النووي على صحيح مسلم ( ٢ / ٩ ط٢

/ دار إحياء التراث العربي].

الحديث دليل على أن جماع الخير في الاستقامة بعد الإيمان؛ ولأن شأنها عظيم أرشد النبي صلى الله عليه وسلم لها حينما سألته عن شيء جامع، وجواب النبي صلى الله عليه وسلم هو الموافق لقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». [الأحقاف: ١٣]. [انظر: الديباج على مسلم لأبي الفضل السيوطي ( ١ / ٥٦ ط١/ دار ابن عفان، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري].

زيادة الترمذي وابن ماجه مبينة على أن أعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنه ترجمان القلب، ونسب إلى أحمد: لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ونسب إلى الشافعي: احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان. [انظر: شرح سنن ابن ماجه للسيوطي ج ١ ص ٢٨٦].

#### خامساً: في رحاب الحديث

إن غاية ما يتطلع إليه الإنسان المسلم: أن تتضح له معالم الطريق إلى ربه، فتراه يبتهل إليه في صلاته كل يوم وليلة أن يهديه الصراط المستقيم؛ كي يتخذ منهجاً يسير عليه، وطريقاً يسلكه إلى ربه، حتى يظفر بالسعادة في الدنيا والآخرة.

وهذا الحديث على قلة ألفاظه، يضع منهجاً متكاملًا للمؤمنين، وتتضح معالم هذا المنهج ببيان قاعدته التي يركز عليها، وهي الإيمان بالله: (قل أمنت بالله)، فهذا هو العنصر الذي يغير من سلوك الشخص وأهدافه وتطلعاته، وبه يحيا القلب ويولد ولادة جديدة تهينه لتقبل أحكام الله وتشريعاته، ويقذف الله في روحه من أنوار هدايته، فيعيش آمناً مطمئناً، ناعماً بالراحة والسعادة، قال الله تعالى مبيناً حال المؤمن: «أَوْفَى كَانِ مَسْكَاةً فَحَيَّيْنَهُ وَجَمَلْنَا لَهُ ثَوْرًا يَمْشِي بِرُءُوفٍ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» (الأنعام: ١٢٢)، فبعد أن كان خاوي





١٤٣- «الرَّأْيُ يُورِثُ الْفَقْرَ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢٣١/٢) عن عبد الله بن عمر مرفوعاً، وفيه ليث بن أبي سليم تركه يحيى القطان وابن مهدي واحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وقال احمد بن حنبل عندما سئل عن ليث بن أبي سليم: إنه ضعيف الحديث جداً، كثير الخطأ. اهـ.

١٤٤- «إذا صليت الصبح فافزعوا إلى الدعاء، وباكروا في طلب الحوائج، اللهم بارك لامتي في بكورها».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١٥٥/١٢) من حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً، وفيه القاسم بن جعفر البلوي، قال الخطيب في «التاريخ» (٤٤٣/١٢): «حدث عن أبيه عن جده عن أبيه نسخة أكثرها مناكير، وفيه العباس بن احمد روى الخطيب عن أبي احمد السراج: لم يكن صدوقاً ولا ثقة ولا مأموناً».

١٤٥- «كنت كنزاً لا أعرف، فاحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فعرفتهم بي فعرفوني».

الحديث لا اصل له، ذكره الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٧٦/١٨) وقال: ليس هذا من كلام الله عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعرف له إسناده صحيح ولا ضعيف. اهـ. ١٤٦- «حسن الوجه مال، وحسن الشعر مال، وحسن اللسان مال، والمال مال».

الحديث لا يصح، أخرجه ابو نعيم في «أخبار اصبهان» (١١١/١) عن انس مرفوعاً، وفيه يحيى بن عنبسة، قال ابن حبان في «المجروحين» (١٢٤/٣): «شيخ بجال يضع الحديث، لا تحل الرواية عنه بحال ولا كتابة حديثه إلا للاعتبار». اهـ.

١٤٧- «مَنْ أَكَلَ مَعَ مَغْفُورٍ لَهُ غُفِرَ لَهُ».

الحديث لا اصل له، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٣٨١/١٨) وقال: هذا ليس له إسناده عند أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب المسلمين.

١٤٨- «السلام قبل الكلام، ولا تدعوا أحداً إلى الطعام حتى يسلم».

الحديث لا يصح أخرجه الترمذي في «السنن» (ح ٢٦٩٩) عن جابر بن عبد الله مرفوعاً، وفيه عنبسة بن عبد الرحمن، قال ابن حبان في «المجروحين» (١٧٨/٢): «يروى عن محمد بن زاذان، صاحب

الروح، ميت القلب، دنيوي النظرة؛ إذ بالنور الإيماني يملأ روحه، فيشرق منها القلب، وتسمو بها النفس، ويعرف بها المرء حقيقة الإيمان ومذاقه.

ولما كان هذا شأنها أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم بعد الإيمان، فمن الناس من يأتي بالإيمان اعتقاداً وقولاً وعملاً لكنه يعوج في طريقه، ويقصر في عمله، والاستقامة هي الثبات على طريق الحق والاستمسك به، فهي طريق النجاة، ولذا أمر الله عز وجل بها.

## الاستقامة تكون بالقلب واللسان والجوارح

لذا فمن زعم أنه استقام على شرع الله تعالى وظاهره يخالف ذلك وتراه ربما يشير إلى صدره ويقول: (التقوى هاهنا) فزعمه باطل، ودعواه كاذبة، فاستقامة القلب تنقاد إليها الجوارح، فهي امتحانه ودليله، وكذا من استقام ظاهره ولم يستقم قلبه فاستقامته مخرومة، فليست هي الاستقامة التي يريد بها الله تعالى، فمن عمر قلبه بفتن الشهوات وساء عمله حمل قلباً مسوداً أو قلباً قليل التعلق بربه ومهابته وخشيته وإجلاله وتعظيمه والتقرب إليه بالعبادات القلبية، فأنى لقلبه استقامة؟!

وغالباً ما يظهر اللسان ما في القلب فتجده معبراً عما فيه، فمن ساء قوله فكان كذاباً أو مغتاباً أو نماماً أو فاحشاً بذيئاً ونحو ذلك من آفات اللسان فاي لسان استقام معه؟! لذا فإن الاستقامة تكون بالقلب واللسان والجوارح.

يقول ابن القيم رحمه الله: «والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله. قال بعضهم: كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة، فالاستقامة للحال

## ختاماً، ونحن في أعقاب رمضان

إن كانت حقيقة الاستقامة أن يحافظ العبد على الفطرة التي فطره الله عليها، فلا يحجب نورها بالمعاصي والشهوات، مستمسكاً بحبل الله، كما قال ابن رجب رحمه الله: «والاستقامة في سلوك الصراط المستقيم تشمل فعل الطاعات، وترك المنهيات» [انظر: جامع العلوم والحكم (ص: ٢٠٦)]

فلا يتصور - أخي في الله - أن تفرط في إكرام الله لك، ولا أن تتخلى عن جهدك وعلو همك التي عودت نفسك الطيبة عليها في رمضان، نسأل الله أن يهدينا وإياك إلى صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.



أشياء موضوعة، وما لا أصل له، مقلوب لا يحل الاحتجاج به.. قال البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٢٠): «منكر الحديث لا يكتب حديثه». اهـ. فالحديث موضوع.

١٤٩- «إذا جلس القاضي في مكانه، هبط عليه ملكان يسدانه ويوقانه ويرشدانه، ما لم يجز، فإذا جار عرجا وتركا». اهـ.

الحديث لا يصح: أخرجه البيهقي في «السنن» (٨٨/١٠)، والخطيب في «التاريخ» (١٧٦/٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وافته العلاء بن عمرو الحنفي، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٨٥/٢): «العلاء بن عمرو الحنفي شيخ يروي العجائب، لا يجوز الاحتجاج به». اهـ. وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٥٣٧/١٠٣/٣): «متروك».

١٥٠- «الصلح محارب لله ورسوله، فاقتلوه، فما أصابكم من إنهم فعلي».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢٠٨/٢) عن عائشة مرفوعاً، وفيه فُرات بن زهر، قال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه، ولا الاحتجاج به بحال.

١٥١- «ما مَطَرُ قَوْمٍ إِلَّا بِرَحْمَةٍ، وَلَا قَحْطُوا إِلَّا بِسَخَطَةٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ح ٧٤٣) عن أبي أمامة مرفوعاً، وافته جميع بن ثوب، قال البخاري في «الضعفاء الصغير» (٥٣): «منكر الحديث»، وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (١٠٥): «جميع بن ثوب الشامي: متروك الحديث».

١٥٢- «الامانة غني».

الحديث لا يصح: أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١/٣) عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس بن مالك مرفوعاً، وافته يزيد، قال ابن حبان في «المجروحين» (٩٨/٣) يزيد الرقاشي بن أبان من أهل البصرة، كُتِبَتْه أبو عمرو، يروي عن أنس بن مالك، فلما كثر في روايته ما ليس من حديث أنس وغيره من الثقات بطل الاحتجاج به، فلا تحل الرواية عنه إلا على سبيل التعجب، وكان قاصداً يقصّ بالبصرة. اهـ.

١٥٣- «مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخنزير».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٨٨/١) عن أبي هريرة مرفوعاً، وفيه عمرو بن صبيح يضع الحديث.

١٥٤- «سب أصحابي ذنب لا يغفر».

الحديث لا أصل له، أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٣٨١/١٨) وقال: «هذا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»».

## منبر الحرمين

# معالم الهدى في أجواء الفتن

الشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حميد

إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة



الحمد لله، الحمد لله المتفرد بكمال القدرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

فاتقوا الله -رحمكم الله- واسمعوا واطيعوا؛ فطوبى لمن سمع فوعى، ثم طوى لمن تذكر لحذه يوم يوضع فيه وحده، يوم ينفخ في الصور، ويوضع الكتاب، وتقطعت الأسباب، فشخصت الأبصار؛ فاما إلى جنة وإما إلى النار، (وَرَى كُلُّ أُمَّةٍ مَلَكًا يَلُوقُهُمْ إِنَّ كَيْدَ الْبَاطِلِ لَعُزِيزٌ) وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا كَيْدُ الْبَاطِلِ عَلَيْكُمْ وَالْحَقُّ بِأَكْثَرِ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [الجاثية: ٢٨، ٢٩].

من فضل الله على الأمة توحيد مصدر التلقي؛ أيها المسلمون: إن من منة الله على أهل الإسلام: أن وُحِدَ لهم مصدر التلقي، فلا تذبذب ولا اضطراب في تلقي حقائق العقائد والأحكام وسبل الهدى، المصدر: هو الوحي المعصوم الثابت من كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما صح من سنة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، يؤمن أهل الإسلام بكل ما ثبت به اللفظ وصح به الخبر فيما هو شاهد وفيما هو غائب، ما عقلناه وما جهلناه، ما أخطأنا بحقائقه وما لم نخطئ ومن طلب الحق في أمور الدين من الأحكام والعقائد والهدى من غير هذا المصدر فقد ضل سواء السبيل.

ومن ظن أنه يعتمد على فهمه في هذه النصوص والأخبار دون النظر في فهم السلف الصالحين وأهل العلم الأدب الراسخين، وإن فهمه مُقَدَّمٌ على فهمهم نقد سلك المسالك المعوجة.

حجب حقائق الغيب عن العباد:

يُقال ذلك -أيها المسلمون- ويُقرر حين يكون الحديث عن الفتن وتبينها وأخبار الملاحم وأنباء الحوادث الكبرى، أخباراً وأنباء تتعلق النفوس بها وتبحث عن تاويلها وأوقات حدوثها ومواعيد وقوعها، ومما يستدعي الإيضاح والبيان: إن من قواعد البشر التعلق بالغيبيات والتشوق لاستشراف المستقبل والتفتيح بعرة أنباء مخبوء الغيب؛ إن تاويل لنوزل، وتفسير لأحداث، وعمار الدول، ونساء الأمم؛ بل تراهم يتعلقون بالرؤى والمنامات وأنباء الغيب، حتى أنهم يسبقون إلى لكهن والمنجمين والمشعوذين والمعبرين وضربهم بغية استكشاف ما وراء



الحُجُب؛ ذلك أن العلة بما سيكون والتطلع لحوادث المستقبل أمر تنجذب إليه النفوس؛ فهو حلو المذاق، عذب الطعم، وفي مقدمة ذلك: أحاديث الفتن والملاحم وأخبار آخر الزمان، تتشوق لها نفوسهم، وتتشوق لها رغباتهم، وتمتد إلى سماع أخبارها أعناقهم. غير أن الله سبحانه طوى عن الخلق حقائق الغيب، وضرب دونه الأسداد، وحجبه عن أكثر العباد، وفتح لهم باباً يكون لهم فيه نفعهم في أمور دينهم ودنياهم، لا يدخل عليهم ضرر، ولا يشغلهم عن مهماتهم ووظائفهم.

#### من معالم الهدى في أجواء الفتن

أيها المسلمون: وهذا بيان لمعالم هدى يتبينها المسلم وهو ينظر في أحاديث الفتن ويستمع إليها ويقرأ عنها؛ فمن معالم الهدى: أن نبينا محمداً -صلى الله عليه وآله وسلم- يُخبرنا عن حلول الفتن واضطراب الأحوال وأنباء الهزج والمرج وحوادث آخر الزمان وأشراف الساعة، فليس من «ال» التخويف والإنذار وحده، ولا مجرد الإخبار باقتراب الزمان وتغير الناس وحلول الهزج والمرج؛ بل لأجل الاشتغال بالعمل وبذل مزيد من الصالحات.

ألم تروا إلى نبيكم محمد -صلى الله عليه وسلم- حين سئل عن الساعة، فقال للسائل: «ماذا أعددت لها؟»، وفي لفظ: «ويلك! ما أعددت لها؟».

فتأملوا هذا التوجيه النبوي من المعلم الهادي -صلى الله عليه وسلم-، فقد صرف السائل إلى ما يعنيه، ويفيده.

يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «والحكمة من هذه الأحاديث والأنباء إيقاظ الغافلين، والحث على التوبة، والاستعداد: فهذه الأخبار مواضع تزجر القلوب لتقبل على علام الغيوب -جل وعلا-».

فالعبد الحائر المؤمن من إذا سمع ما صُح من هذه الأخبار قاده ذلك إلى العمل والحزم والاستعداد.

والخسران والدمار لمن اعرض واشتغل بالتأويلات والتخيلات الصارفة، فهي أخبار وأنباء لزيادة الإيمان وإقامة الحجة ومزيد العمل والعبادة.

وتأملوا هذا التوجيه النبوي في قوله -عليه الصلاة والسلام- وهو يذكر الفتن: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم». قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم». أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي، والطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي ثعلبة الخشني -رضي الله عنه-.

وفي حديث معقل بن يسار -رضي الله عنه- في

صحيح مسلم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «العبادة في الهزج كهجرة إلى».

قال أهل العلم: «أي: العبادة في وقت اختلاف الناس واشتغالهم». قالوا: «وعظم الفضل لأن الناس يغفلون عنها ويشغلون بها، ولا يتفرغ إلا من رجم الله وعصم».

وتأمل ما تفعله وسائل الإعلام في صرف الناس وإنشغالهم بمتابعتها ليلاً ونهاراً، يشغل بها المبتلى نفسه وفكره وأصحابه في تحليلات وتعليقات وتخيلات وهو ليس فيها من قبيل ولا كبير؛ هل هذا خير أم انصراف المرء إلى الإحسان في عمله ومسؤولياته المؤمن عليها والمسؤول عنها والمحاسب عليها.

شغل نفسه بقراءة الصحف وسماع المذيع ومُشاهدة القنوات ومتابعة المواقع، ومن انشغل بما لا يعنيه انصرف عما يعنيه.

ولعل المتأمل يُدرك لماذا شبه النبي -صلى الله عليه وسلم- العبادة بالهجرة؟

قال أهل العلم: «لأن الهجرة فرار بالدين من المكان المخوف المضطرب إلى المكان الآمن الذي يُقيم فيه المسلم دينه».

والعبادة في أزمان الفتن فرار من هذه الموجات، فرار إيجابي وليس انهزاماً وسلبية؛ بل هو البناء والعمل، اشتغال بالعمل الصالح والعبادة والإصلاح ونصرة الدين وجمع الكلمة والتحذير من الفرقة، في أبواب من عمل الخير وأنواع من العبادات الواسعة مفتوحة؛ من صلوات، وصدقات، وصيام، وحج، وعمرة، وزيارة، وإحسان في المعاملات، وصدق في العلاقات، وصفاء في القلوب، وحج في الخير، والنصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من كل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، من أعمال مالية وبدنية وقولية وقلبية، وما فتح الله من أنواع الأعمال والطاعات، ولكل عمل باب من أبواب الجنة.

فשמّر الصالحون الموفقون عن ساعد الجد، وتلمسوا أبواب الخير والنجاة والثبات، واتقوا الفتن، واجتنبوا أبواب الشر، «وإذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها».

أيها المسلمون: ومن معالم الهدى في أوقات الفتن وسماع أخبار الملاحم: الثاني في الفهم والتأويل، والثاني في تنزيل الأخبار على الوقائع والأحداث، يقول عبد الله: «إنها ستكون هنأت وأمور مُشتبهات؛ فعليك بالتؤدة، فلأن تكون تابعاً في الخير خير من أن تكون رأساً في الشر».

فالعاقل الزاكي من يُدرك الأمور بعقله وبصيرته، والجاهل يندفع بعاطفته وغفلته، العاقل المتثبت يلزم الهدوء والسكينة والاعتدال، ويجتنب العجلة والخفة، لا يقنط عند المصيبة، ولا يضطرب عند النازلة، ولا يتعدى حدود الشر ولا سيما ذوق الرأي والريادة ومن هم في مقام الرئاسات والتوجيه وذوي الشأن.

ولقد قال الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم- لأصحابه -وقد سمعوا اضطراباً في المدينة-: «لن نراعوا».

وتأملوا ثبات أبي بكر -رضي الله عنه- عند موت النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهل هناك مُصاب جَلل أعظم منه؟ لقد جمع الله لأبي بكر -رضي الله عنه- الصبر والثبات واليقين، يقول أنس -رضي الله عنه-: «خطبنا أبو بكر -رضي الله عنه- وكنا كالثعالب، فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود». ثم كان من أبي بكر ما كان؛ من بعث جيش أسامة، وحروب الردة وما نعي الزكاة، فثبت الله به الدين والأصحاب، وقوى العزائم، وحفظ الإسلام.

ومن التثبت: التروي وعدم التعجل في إعطاء الرأي أو إبداء الحكم أو التفسير؛ بل قد لا يلزم إبداء الرأي ولا التكلم في كل نازلة، فما كل رأي يجهر به، ولا كل ما يُعلم يُقال، ولا كل ما يصلح للقول يُقال عند كل أحد.

وقد قال بعض الحكماء: «إن لا بداء الكلام فتنة تروق، وجدة تعجب، ومن سكت لا يكاد يندم، ومن تكلم لا يكاد يسلم». والعجل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم، وخمير الرأي خير من فطيره، والخطأ زاد العجول، ورُب رجل واسع العلم بحر لا يراخ، لكنه قصير النظر، يؤتى من جرأته وتسرعه وقلة إناته وتدبره. ومن معالم الهدى -يا عبد الله-: إن كنت ممن لم يتبين له موقف واضح من تلقاء نفسه، أو من توجيه علماء خبراء ثقات؛ فلتعزل الخوض في ذلك والاشتغال به، ولتلتفت إلى خاضة نفسك، وفي مثل ذلك جاء الحديث الصحيح في سنن أبي داود عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «كونوا أحلاس بيوتكم».

وفي خبر آخر في سنن الترمذي: «أمسك عليك لسانك، وليسغك بيتك، وابك على خطيئتك».

وعند أبي داود أيضاً: «إن السعيد لمن جُنب الفتن، إن السعيد لمن جُنب الفتن، إن السعيد لمن جُنب الفتن، وإن ابتلي فصبر».

ومن أظهر مظاهر الاعتزال: كف اللسان؛ فقد أخرج ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «تكون فتنة تستغفل العرب -أي: تقتلهم-، قتالها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف». وكم للإعلام في ذلك بوسائله من ضحايا وهلكى وقتلى!

وفي هذه الأجواء والظروف جاء توجيه الشرع الحكيم بأن يأخذ الإنسان ما يعرف ويترك ما يُنكر؛ ففي صحيح البخاري -رحمه الله- عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: شبك النبي -صلى الله عليه وسلم- أصابعه وقال: «يا عبد الله بن عمرو: كيف بك إذا بقيت في خُتالة الناس؟». قلت: يا رسول الله: كيف ذلك؟ قال: «إذا مرّجت عهودهم وأماناتهم، وكانوا هكذا». وشبك يونس أصابعه. قلت: ما اصنع عند ذلك يا رسول الله؟ قال: «اتق الله -عز وجل-، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بخاصتك، وإياك وعوامهم».

معاشر المسلمين: ومن معالم الهدى: أن لا تربط كل حادثة كبرى أو نازلة عامة أو واقعة غريبة بنص شرعي أو خبر سمعي، فقد تحسّل الواقعة وتنزل النازلة ولا يُقابلها نص، وقد يرد النص ولم يقع تأويله بعد، وقد حدثت في تاريخ الأمة الطويل أحداث جسام وواقعات عظام لم يتكلف السلف مُقابلتها بالنصوص؛ فقد ضرب الحجاج الكعبة بالمنجنيق، وأخذ القرامطة الحجر الأسود، وجرت حروب التتار، والحروب الصليبية، واحترق المسجد الأقصى، فلا ينبغي تكلف البحث والتعسف في التأويل والاشتغال بالتفسير، وإنما المطلوب العمل، والأخذ بالأسباب، ومُدافعة الأقدار بالأقدار، وحفظ الدين وحماية أهل الإسلام، وأخذ الحيطة والحذر: **(وَلَا تَهْزُوا فِي آيَاتِهِ الْقَوْمَ إِنَّ تَكْفُورًا تَأْتِيهِمْ بِالْأَلْوَنِ كَمَا تَأْتِيهِمْ بِالْأَلْوَنِ وَتَرْجُونَ مِنْ آفَ مَا لَا يَرْجُونَ)** [النساء: ١٠٤].

ومن معالم الهدى -يا عباد الله- الثقة بأهل العلم وتقديرهم، والعلم بأن براءة الذمة وسلامة الدين تحسّل بالرجوع إليهم وسؤالهم؛ فيجب توقيرهم وحفظ حقوقهم وتجنب الانتقاص من أقدارهم.



أو الحط من منازلهم ومقاماتهم وإن كانوا غير معصومين.

وحينما حذر معاذ -رضي الله عنه- من زيغة الحكيم قال: «ولا يذنبك ذلك عنه؛ فلعله أن يرجع، وتلقى الحق إذا سمعته؛ فإن على الحق نوراً».

ومما يحفظ حقهم: البعد عن مجالس الجدل ومجالس الوقعة، وبخاصة في أوقات الفتن التي يكثر فيها القيل والقال.

وأي فتنة أشد حين ينتقص الناس من علمائهم والراسخين منهم والريانيين ليعجب كل ذي رأي برأيه، فيشمر عن ساعده، ويحسر عن ساقه ليقول: ما أنذا، لا يلتفت بعضهم إلى بعض، ولا يرى بعضهم لبعض حقاً ولا منزلة ولا علماً ولا رأياً، يتقدم الأصاغر على الأكابر، كلهم يزعم أنه المتكلم في مصالح الأمة، وأنه الذي يفهم واقعها، وكلهم يرى أنه الإحق ليقود السفينة.

ناهيك بالمتعجلين المتكلمين ممن لا يراعي ما يبرعه القوم من الأصول وضبط القواعد وشد المعايير؛ فهذا الغافل في شأن وأهل العلم الأثبات في شأن، وقد جعل الله لكل قوم قدراً، فالحذر الحذر من مناكفة أهل العلم والحكمة، فأخي خذلان أن لا يعرف المرء مقدار أهل العلم وعمق علومهم وقلة تكلفهم ونور بصائرهم، وكل ذلك يحتاج إلى مروضة وإلى تمسك بادب الإنصاف؛ لتكون الرحمة والإصلاح وحسن التقويم وتركبة النفوس واحترام العقول.

وبعد -حفظكم الله ورحمكم-: فإن حقيقة الفتنة: كل ما يكشفه الابتلاء والامتحان، ويتبين به حال المسلم: من خير أو شر أو خوف أو أمن أو ثبات أو اضطراب، وهذه الفتن تنشأ من فهم فاسد أو نقل كاذب أو غرض منحرف أو هوى متبع، والفتن يقع فيها ضعيف البصيرة قليل العلم، لا سيما إذا اقترن بذلك سوء القصد وغلبة الهوى، فهنا الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى، والأمة تخرج -بإذن الله- بعد الإيمان به والاعتصام بحبله، تخرج بالتفكير المستنير، والنظر الخائب، وفقه الأسباب والمسببات، والعواقب والمقدمات، وإتيان البيوت من أبوابها.

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْرِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُمْ وَتَوَرَّدُوا إِلَى الرُّسُولِ وَأَلِيتْ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَقِيلَ الَّذِينَ يَسْتَبْطِلُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَمَّتَّ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء: ٨٣].

وإن من معالم الهدى نبي أجواء لفتن: السمع

والطاعة لولاة الأمور بالمعروف، ولزوم جماعة المسلمين، والاجتماع على الدين، والحذر من الفرقة وشق صف الأمة المجتمة؛ فالجماعة رحمة والفرقة عذاب، وأكثر ما تتجلى عوامل الفرقة في أجواء الفتن والاضطراب في مسلكين: البغي وسوء التأويل.

**أما البغي: فيبجأوة الشرع، وأما التأويل: فبتفسير من غير مستند شرعي صحيح.**

أيها المسلمون: هذه معالم هدى يدخل بعضها في بعض، ويدل بعضها على بعض، ويُفسر بعضها بعضاً، وينبئ ما ذكر منها على ما لم يذكر، مع ما يجمع هذه المعالم بما يجب من محبة المسلمين والشفقة عليهم والنصرة لهم؛ ففي الحديث عند مسلم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إنه لم يكن نبئ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، ويذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن امتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وامور، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يخرج عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت الناس الذي يحب أن يؤتى له».

والوصية الوصية -عباد الله-، الوصية الوصية في الإخلاص، والإحسان، والنصح، والصدق، وترك ما يريب، والتثبت فيما يسمع وينقل، وعدم الاغترار بالكثرة في الموافقة والمخالفة، والحذر الحذر من الاندفاع والحماس غير المنضبط، مع لزوم الرفق والأناة والصبر وحفظ اللسان وصدق اللجوء إلى الله، والتوبة، والإنابة، والدعاء، والاستغفار، وحسن التوكل، والاعتصام بالكتاب والسنة، ولتعلم أن الصبر في الأزمات، والحلم في النكبات، والتثبت إذا ترانفت الضوايق، والأناة إذا تكاثرت العوائق، كل أولئك فرسان -بإذن الله- لا تكبو، وصوارم لا تنبو، وجنود لا تهزم، وحصون لا تهزم، واستجماع ذلك كله -بعون الله- لا تزغ معه الأبصار، ولا تطيش به الأحلام، ولا تضل فيه الأفهام؛ بل تقبين الأمور بحقائقها، والأحداث بدوافعها.

ألا فاتقوا الله -رحمكم الله-؛ فمن علم الله من ظله الصدق، والنصح والإخلاص وإرادته إصلاح والإصلاح وفقه وسدده ونفعه وأناز بصيرته: (إِنَّهُ مَن يَتَّقْ وَيُصِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُتَّقِينَ) [يوسف: ٩٠].

والحمد لله رب العالمين.



# الكلمة بين الأمانة والحرية

الشيخ، محمد صفوت نور الدين

إعداد

الرئيس العام الأسبق

لجماعة انصار السنة المحمدية - رحمه الله



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله، وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين... وبعد:

فإن الله سبحانه جعل الأذان مفتوحة بلا إغلاق؛ ولذا فإن العبد لا يحاسب على ما وصل إلى سمعه، إنما يحاسب على ما قصد التسمع إليه، بل يُثاب إذا أنكر ما سمعه من قول منكر. وجعل الله للعين أسباباً تصرف بها البصر، وهي عنق يديره بعيداً، حتى يتوارى عنه ما يسوءه رؤيته، أو جفن يغلقه؛ لذا فإن العبد لا يحاسب على نظرة الفجأة، إنما يحاسب على ما استرسل فيه من البصر؛ لحديث مسلم عن جرير، رضي الله عنه: «لا تقبض النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة».

أما الكلام فإن المولى عز وجل حكم فيه حكماً شديداً، فقال سبحانه: «تَأْيِذٌ مِّن قَوْلِ الْأَعْدَىٰ قَوْلٍ بَعِيدٍ» [ق: ١٨]، فلا يعفى عن كلمة حتى تكتب ويحاسب العبد عليها، ولذلك جعل الله الأصل في العين الفصح، والإغلاق طارئ عليها، بينما الأصل في القم الإغلاق، والفتح طارئ عليه؛ أي لا يفتح إلا للحاجة، وجعل عليه أغلاقاً قوية من فكين هما أقوى عضلات الجسم، وشفتين هما من أحكم عضلاته.

**الكلمة المسموعة والكلمة المكتوبة**

هذا، وإن الكلمة المسموعة قد تصدر من الفم فيها سبق اللسان، ولكن الكلمة المكتوبة وإن كان فيها سبق القلم، إلا أن المراجعة تنفي وقوع ذلك في الكتب والصحف، ولا يجوز الاعتذار عن خطأ الكتابة في الصحف والكتب بأنه سبق قلم.

هذا، وإن ما تكتبه بعض الجرائد والمجلات من عبارة: (إن الكلام المنشور لا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو الجريدة، وإنما يعبر عن رأي كاتبه)؛ لا يعني ذلك صاحب هذا الباب أو المسئول عنه من انصار الشيعة المنهارة انضماماً



إلى أنصار الباطل من أهل الغرب واخذوا يحاربون من خندق واحد يهاجمون كل فضيلة ويدعون لكل رذيلة!!

أقول لكل صاحب صحيفة أو مسئول عن جريدة أو محرر في مجلة: إن الكلمة أمانة، فإن كانت هادية نشرها وأذاعوها، وإذا وجدوا باطلاً أعرضوا عنه ولم يكلموا أحداً فيه!!

المسائل التي ينشر فيها آراء الكاتبين إذا حُسم القول فيها من المتخصصين، فلا مجال للرأي عندئذ فيها، ومنها ما يكون للرأي فيه مدخل، كالأمر السياسي والاجتماعية، أما المسائل الشرعية فهي أكثر المسائل ضبطاً، فلا مجال للرأي فيها، إنما هي وحي من الله سبحانه - قرآنًا وسنة - وبفهم سلف الأمة الذين نزل فيهم القرآن، وعمل به الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام وأهل القرون الفاضلة، فلا يبقى للرأي فيها من مدخل، فلا مجال لطرح قضايا الشرع للأراء يتبارى فيها الناس ويتخاصمون بارائهم؛ لأن الشرع لا مجال للاهواء فيه، إنما أحكام دقيقة وأدب رفيعة، فضلاً عن عقائد بيّنة لا يمكن انبثاقها بتجربة، ولا بكلام خبير معمر أو إنسان مجرب.

#### استعمال الرأي في الأمور الشرعية

وإذا احتج أحد بان العلماء يستعملون الرأي في تفسير آيات القرآن، وكذلك في شرح الأحاديث، فالجواب: إن كلمة الرأي في مجال الشرعيات والتي أذن فيها أهل العلم لا تعني ذلك الهوى الذي نسميه نحن رأياً، إنما الرأي عندهم يعني ما تحمله الكلمة من معنى في ضوء الضوابط اللغوية والقوانين الشرعية، وذلك هو المعنى الذي يقول به أهل العلم في التفسير بالرأي المقابل للتفسير بالمأثور؛ (أي تفسير القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة وأئمة العلم).

هذا، وكثير من الناس يظن أن كثرة عدد القائلين بمسألة يعني أنها صواب، وذلك إن صدق في مسائل التجارة والصناعة والزراعة والطب والسياسة وأمور الدنيا، فلا يصدق في الأمر الشرعي مهما كثر القائلون به، إنما الحق ما وافق الكتاب والسنة، ولو قال به القليل

فهو الصواب؛ ولذا فإن الله عز وجل قال: «وَأَنْ تَقْلَعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» [الأنعام: ١١٦]، ويقول سبحانه وتعالى عن نوح عليه السلام: «وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ» [هود: ٤٠]، ولو كان الصواب مع الأغلبية لكان كلام الأنبياء مردوداً، وضلالات جند الشيطان هي المقبولة، ولكان اللواط صواباً، والطهارة خطأ، ولكان أقوال وأفعال أهل الضلال هي الحق المتبع، ولكان أقوال الأنبياء هي الباطلة المهجورة.

#### أنصار الباطل من أهل الغرب

ونرى اليوم بعد أن انهارت الشيوعية في العالم أن أنصارها قديماً انضموا لأنصار الباطل من أهل الغرب، واخذوا يحاربون من خندق واحد يهاجمون كل فضيلة، ويدعون لكل رذيلة، فترى الإذاعي من هؤلاء يساند الصحفي من أخوانه، فيذكر في ذلك، يقول الله عز وجل: «الَّذِينَ آمَنُوا يَتْلُونَ الْفُرْقَانَ بِلَا تَحْتِيجَ إِلَى الْكِتَابِ لَكِنْ أَخْرَجْنَاهُ مَعَكُمْ وَلَا تَقْلَعُ يَدَكَ أَمَّا آبَاؤُا وَبَنَاتُهُمْ فَتَشْرِكُونَ اللَّهُ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ لَفِئَتُهُمْ مِنْكُمْ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا الَّذِي يَشَاءُ اللَّهُ يَفْعَلْ مَا يَشَاءُ» [الحشر: ١١].

فانظر كيف تآخى المنافقون وهم عرب وثنيون في أصلهم مع أهل الكتاب من اليهود الحاقدين، وسماهم الله سبحانه وتعالى إخواناً؛ لاتفاقهم في المنهج الباطل، فكل واحد منهم يدافع عن الآخر؛ مخافة أن يظهر الحق فيضيع ذلك الباطل، فيضيع باطله مع باطل الآخرين؛ لأنهم في الدنيا أخلاء، وفي الآخرة أعداء: «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» [الزخرف: ٦٧].

#### الصحف القومية والحزبية

هذا، وإن الصحف القومية والحزبية في مصر يديرها ويرأسها رجال من أعلام الإعلاميين؛ الكثير منهم له باع طويل في الجهاد الوطني معروف له، إلا أن ذلك لا يبرر ولا يعفي من مسئولية الكلمة، فالحق مسئول عن كل كلمة تُقال، خاصة إذا كان لها بالشرع تعلق، فلا يجوز له أن يسمح بما يخالف الشرع من الأقوال، (حتى لو خرج ممن ينتسبون للعلم)، والأمر هنا واضح؛ لقوله تعالى: «وَمَنْ يُشَاقِقِ

الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْإِيمَانِ فَأُولَئِكَ سَمِعَ اللَّهُ مِنْهُمْ نَجَسًا» [النساء: ١١٥].

فكثيراً ما تجد في صحيفة من الصحف (صفحة) تطرح للرأي، يتناول فيها الكاتب - أيًا كانت هويته - الحديث عن مسألة من مسائل الشرع، ويدلي فيها بهواه يقرؤها كل الناس، والله جلّت قدرته يقول: «وَلَا تَقْفُ مَا لَخِّنَ لَكَ بِهِ جِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ» [الاسراء: ٣٦].

#### أمراض القلوب وأصحاب الشبهات

فهناك في القلوب أمراض كامنة تثيرها الشهوات، وأخرى كامنة تثيرها الشبهات، ولكن على صاحب الشبهة أن يذهب بها إلى أهل العلم، يعرضها عليهم ليطلب زوال تلك الشبهة، فيقول سبحانه: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبْطِنُونَ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا» [النساء: ٨٣].

وقد ترى الصحيفة رغبة في الشهرة أن تطرح على الناس قضية يكتب فيها كل من أراد، فيخرج على الناس من الأفكار شراً يبلبل فكر العامة، ويثير اشتزاز أهل العلم والحكمة، ويوقع الناس في حيرة.

#### نصيحة لكل صاحب صحيفة

وكما يقولون: نصف طبيب يفسد الأبدان، ونصف فقيه يفسد البلدان، ونصف نحوي يفسد اللسان، ونصف اصولي [أي: المتحدث في مسائل الاعتقاد] يفسد الأديان!!

أقول هذا نصيحة لكل صاحب صحيفة، أو مسئول عن جريدة، أو محرر في مجلة، أو كاتب في دورية؛ أن الكلمة أمانة، فإن كانت الكلمة هادية ووقعت منها الهداية كتب لك أجر بقدر من اهتدى من الناس، وإن كانت الكلمة مضلة ووقع منها الإضلال كتب عليك الإثم بقدر من اضللتهم.

ويكفي في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يري بها بأساً، فيهوى بها في نار

جهنم سبعين خريفاً». [سنن ابن ماجه: ٣٩٧٠، وصححه الألباني].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عز وجل بها سخطه إلى يوم القيامة». [سنن الترمذي: ٢٣١٩، وصححه الألباني].

#### أصحاب الحماس لنشر الضلال

ثم أقول لكثير من أصحاب الحماس الذين إذا وجدوا كلمة ضالة في جريدة أو مجلة طاروا بها واشاعوها، بل حملوها في جيوبهم وصوروها ينشرونها في الناس؛ ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». بل إن هذه الضلالات من الأقوال كالطعن في الأعراض، ينبغي أن تعامل بدقة، كما قال سبحانه: «إِذْ تَقُولُ: يَا أَيُّكُمْ وَقُرُونِ بِأَقْوَامِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَتَّبِعُونَهُمْ هُمْ يَهْتَكُمُ أَهْلَهُ أَنْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْنَا مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا نَبَأٌ عَظِيمٌ» [النور: ١٥].

ونوصي هؤلاء المتحمسون أن ينشروا الحق ويعرضوا عن الباطل، فإذا وجدوا كلمة هادية نشرها وأذاعوها، وإذا وجدوا باطلاً أعرضوا عنه ولم يكلموا أحداً فيه؛ لأن القاعدة الهامة: (أذكر الخير لينتشر، ولا تذكر الشر ليندثر)، وذلك لأن الله سبحانه قال: «ثُمَّ إِنَّا أَرْسَلْنَا قُدْرَةً مِّنَّا بِمَنْعِ النَّاسِ فَيَحْكُمُ فِي الْأَرْضِ» [الرعد: ١٧]. والله من وراء القصد.



# يا جوج وما جوج

الحلقة الأولى

اضطراب الافهام والاقوال  
في يا جوج وما جوج

عبد الرزاق السيد عبيد



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

أخي الكريم: نبدا الحديث في هذا العدد عن «يا جوج وما جوج»، وقد اضطربت أقوال الناس في شأنهم اضطراباً عظيماً.

فمن الناس من أنكر وجودهم وأنكروا وجود السدا! وهؤلاء لا يعنيننا أمرهم.

٢- ومنهم من يصفهم بأوصاف لم يصح بها نقل صريح ولا عقل صحيح، كمن يصفهم بأنهم ليسوا من أبناء آدم وحواء.

٣- وقد اختلفوا كذلك في نسبتهم.

٤- كما اختلفوا في مكان السد، وهل لا يزال موجوداً أم لا.

٥- ومنهم من توسع في القول واعتبرهم كل مفسد من أهل الأرض في السرقة أو الحرق.

وهذه الأقوال المضطربة المتفاوتة في اضطرابها منها ما هو باطل شديد البطلان يصادم الحق، وهذا بمجرد تسليط نور الحق عليهم فيدمغه ويرهقه، فإذا هو زاهق بفضل الله ورحمته.

ومنها ما يعد اجتهداً لبعض أهل العلم يدخل في باب من اجتهد وأخطأ فله أجر ومن اجتهد وأصاب فله أجران.

وما يعنيننا الآن هو أن نسلط الضوء على بعض هذه الاجتهادات لتكون ماثلة أمام القارئ، ثم نوضح الحق الواضح من الكتاب والسنة الصحيحة، والله المستعان وعليه التكلان.

**وسنعرض لآراء بعض أهل العلم المتأخرين كما يلي:**

أولاً: جاء في تفسير القاسمي رحمه الله المسمى بمحاسن التاويل عند تفسير قوله تعالى: «إِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جُمْلَةً، دَكَّاهُ» [الكهف: ٩٨]. قال: ناقلاً عن اسماءهم (بعض المحققين): «فلا يصح أن يستنتج من هنا القول أن السد يبقى إلى يوم القيامة، بل صريحه أنه إذا قامت القيامة في أي وقت كان، وكان هذا السد موجوداً دكاه الله دكاً، وأما إذا تأخرت فيجوز أن يدك قبلها بأسباب أخرى.

وأما قوله تعالى: «حَقَّقْنَا لَكَ أَنَّ هَذَا بَصَرِي وَمَا هُوَ إِلَّا نَجْمٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: ٩٦»، فالمراد منه خروجهم بكثرة وانتشارهم في الأرض، كما يخرج الشيء المحبوس أو المضغوط إذا انفجر، والغالب أن المراد بخروجهم هذا: خروج المغول التتار، وهم من نسل يا جوج وما جوج، وهو الغزو الذي حصل منهم للأمم في القرن السابع الهجري وناهيك بما فعلوه إذ ذاك

في الأرض، بعد أن نشروا فيها من الإفساد والنهب والقتل والسبي، والراجح أن السد كان موجوداً بإقليم داغستان التابع الآن لروسيا، بين مدينتي دربند وخوزار. فإنه يوجد بينهما مضيق شهير منذ القدم، يسمى عند كثير من الأمم القديمة والحديثة بالسد وبه موضع يسمى باب الحديد وهو أثر سد حديدي قديم بين جبلين من جبال القوقاز الشهيرة عند العرب بجبل قاف وقد كانوا يقولون إن فيه السد كغيرهم من الأمم. ويظنون أنه في نهاية الأرض. وذلك بحسب ما عرفوه منها. ومن ورائه قبيلتا يا جوج وما جوج. انتهى (تفسير القاسمي محاسن التاويل ص ٩٢٤).

ويواصل الشيخ القاسمي نقله عن صاحب كتاب «صفوة الاعتبار» وهو جغرافي تونسي شهير ما يؤكد أن السد هو سور الصين العظيم، وغير ذلك. والشيخ رحمه الله لم يرد على أصحاب هذه الاجتهادات بل ربما تأثر بها والله أعلم. فالشيخ رحمه الله على مكانته تأثر بهذه التاويلات.

**ثانياً:** والشيخ أبو الكلام آزاد العالم الهندي المشهور، والذي قيل عنه: إنه أحد من يبحث في المعضلات التاريخية في العصر الحديث بما اجتمع له من ثقافة موسوعية دينية وتاريخية، وقد تأثر بآرائه كثير من العلماء والمؤرخين والمفسرين الحديثين تلخص رأيه في هذه القصة على النحو التالي:

«فهو يبدأ بحثه انطلاقاً من كتب أهل الكتاب، ومن خلال استعراضه لمراجعهم عموماً وسفر أشعياء خصوصاً يصل في النهاية إلى أن ذا القرنين هو «كورس» الفارسي الذي كان في القرن السادس قبل الميلاد والذي عثر له في إيران على تمثال له قرنان وجناحان، وقال: إن كل ما ذكره القرآن عن ذي القرنين ينطبق على كورش فهو على الدين الصحيح القائم على التوحيد والنية الصادقة، والقول الصادق والعمل الصالح، وهو الذي توجه في الفتح حتى بلغ صحراء بلخ في المشهد وتوجيه ناحية المغرب حتى وصل إلى بحر إيجة قريباً من إزير، وتوجه نحو الشمال وبنى السد الذي بقي معروفاً باسمه في المكان الذي يسمى الآن بمضيق دار يال والموجود الآن في جبال القوقاز.

وخطا من قال بأن السد هو السد المعروف بباب ديند أو باب الأبواب، والممتد من بحر الخرز إلى سلسلة جبال القوقاز، وخطا من ذهب إلى أنه

سد الصين العظيم، هذا كما خلص إلى أن يا جوج وما جوج هم التتار والمغول الذين كانت تقذف بهم متغولياً مرة بعد مرة، وأن سد ذي القرنين هو الذي أغلق تحركاتهم نحو الغرب.

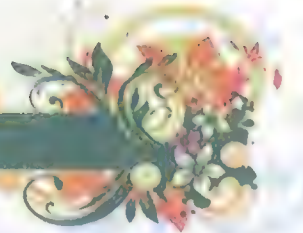
وأنا أذكر أخي القارئ الكريم أنني لا أذكر هذا الذي ذكرت على أنه حقائق، بل هي اضطرابات في الأقوال حول موضوع يا جوج وما جوج، وأحسن ما يقال في بعضها أنها مجرد اجتهادات قابلة للخطأ والصواب، وتبقى الحقيقة الناصعة والحق الذي ليس بعده شك ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما سنعرض إليه إن شاء الله بعد قليل، وقبل أن نشرع في بيان الحق من الكتاب والسنة ننظر فيما سبق من أمور نظرة تأمل:

١- معظم الذين أنكروا يا جوج وما جوج هم الذين أنكروا ظهور المهدي ونزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان، وهؤلاء لا يعتمدون في إنكارهم على شيء إلا على عقولهم، وهؤلاء يقال لهم ولأمثالهم: إن أصل فساد الدين هو تقديم الرأي على الوحي، واليهوى على الشرع، والعقل على النقل، ونقول لهم أيضاً: من لم يسلم للمنقول، وقابله برده بالعقول فهو ضال مضبول، ومقابلة النص الواضح الصريح بالرأي الفاسد القبيح هي بدعة قبيحة أول من وقع فيها إبليس، والذي يفعل ذلك هو من جملة أتباعه المقربين.

وقصة يا جوج وما جوج من أشرار الساعة، ومن مقتضيات الإيمان بالغيب: الإيمان بها وخصوصاً قد جاء بها الحق (سبحانه) في كتابه والرسول الكريم في سنته، وقد ذكر ابن القيم أحوال القلوب عند ورود الحق عليها فقال: «حال القلوب عند ورود الحق المنزل عليها: قلب يفتن به كفرًا وجحودًا، وقلب يزداد به إيمانًا وتصديقًا، وقبل يتيقنه فتقوم عليه به الحجة وقلب يوجب له حيرة وعمى فلا يدري ما يراد به». اهـ. من إغاثة اللهفان.

وأي فتنة أعظم من أن يأتي الخبر في القرآن الكريم، ويأتي الحديث الصحيح عن المعصوم فينكره المنكرون بحجة أنه يخالف العقل في زعمهم، ويخالف العلم الذي لم يدع مجالاً في الأرض إلا بينه وكشفه، وهذا في حد ذاته باطل عقلاً، فضلاً عن كونه باطلاً شرعاً، نسال الله الهداية والتوفيق وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

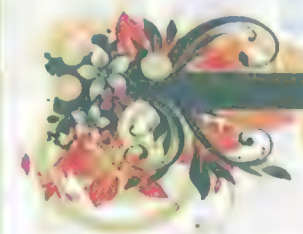




## فرحة العيد تذكر بأخوة الدين

عبده الأقرع

الحمد لله وفق من شاء لطاعته فكان  
سعيهم مشكوراً، ثم اجزل لهم العطاء والمثوبة  
فكان جزاؤهم موفوراً، واصلي واسلم على  
خير من صلى وصام وتلا القرآن، صلى الله  
وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه البررة  
الكرام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى  
يوم الدين أما بعد:



فحري بكم، يا من وفقتم لصيام شهر رمضان  
وتقربتم إلى ربكم بأنواع القربات، راجين الأجر والثواب  
من الله أن تفرحوا بعد ذلك بعيدكم السعيد، فإنه اليوم  
الذي توج الله به شهر الصيام، وافتتح به أشهر الحج إلى  
بيت الله الحرام، واجزل فيه للصائمين والقائمين جوائز  
البر والإكرام، عيد امتلات القلوب به فرحاً وسروراً،  
وازدانت به الأرض بهجة ونوراً؛ لأنه اليوم الذي يخرج  
فيه المسلمون إلى مصالهم، لربهم حامدين معظمين،  
وبنعمته بإتمام الصيام والقيام مغتبطين وخيره وثوابه  
مؤملين، يسألون ربهم الجواد الكريم أن يتقبل عملهم،  
وأن يتجاوز عن مسيئتهم وأن يعيد عليهم مثل هذه الأيام،  
وهم في خير وأمن وإيمان واجتماع على الحق والعبادة  
وابتعاد عن الباطل والعصيان.

حق لمن امتثل أمر مولاه فصام وصلى وقام أن  
يفرح يوم العيد، كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ  
أُمَّهُ وَرَحْمَتِهِ، لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، وَإِذَا لَقِيَ رَبُّهُ  
سَأَلُوهُ عَنِ الْيَوْمِ، [متفق عليه: البخاري: ١٩٠٤، ومسلم: ١١٥١].

والعيد غبطة في الدين والطاعة وبهجة، في الدنيا  
والحياة، ومظهر القوة والإخاء، إنه فرحة بانتصار  
الإرادة الخيرة على الأهواء والشهوات، والرضا بطاعة  
المولى، والوعيد الكريم بالفوز بالجنة والنجاة من  
النار، فالعيد موسم بهجة، ابتهاج بالتوفيق للطاعة،  
لكن مع هذه البهجة، وهذا الفرح الممدوح حري بنا  
جميعاً أن نتذكر أموراً مهمة لا ينبغي أن تغيب عن  
أذهاننا في يوم عيدنا؛ لأن من الناس من تطفئ عليه  
فرحة العيد فتستبد بمشاعره ووجدانه لدرجة تنسيه  
واجب الشكر والاعتراف بالنعم، وتدفعه إلى الزهو  
بالجديد، والإعجاب بالنفس حتى يبلغ درجة المخيلة  
والتباهي، وما علم هذا أن العيد قد يأتي على أناس قد  
ذلوا من بعد عز، فتتهيج في نفوسهم الأشجان، وتحرك  
في صدورهم كثير من الأحزان.

ذاقوا من اليأس الوانا بعد رغد العيش، وتجرعوا  
من العلقم كيزانا بعد وفرة النعم، فاعتاضوا عن الفرحة  
بالبكاء، وحل محل البهجة الأنين والعناء.

تذكروا - إخواني - وأنتم تعيشون فرحة العيد  
إخواناً لكم اخترتمهم المنية وأدركهم الموت فلم يدركوا  
يومكم هذا، فهم في قبورهم محتجزون، وباعمالهم  
مرتئون، وإنكم إلى ما صاروا إليه صائرون، فهم  
السابقون، وإننا إن شاء الله بهم لاحقون، فلا تنسوا  
من دعوة صالحة بأن يقلل الله عزراهم ويغفر زلاتهم  
ويتجاوز عن ذنوبهم.

وتذكروا - إخواني - وأنتم تعيشون فرحة العيد  
بصحة وعافية إخواناً لكم أقعدهم المرض، وأعاقهم

عن مشاركتكم الفرحة، فاحمدوا الله على ما أنتم فيه  
من صحة وعافية وسلامة، ولا تنسوا إخوانكم أولئك  
من دعوة صالحة أن يشفي مريضهم، ويزيل بأسهم،  
ويفرج همهم، ويكشف كربتهم.

وتذكروا - إخواني - وأنتم تعيشون فرحة العيد  
بأمن وأمان وراحة واطمئنان إخواناً لكم اهلكتهم  
الحروب، وأرقتهم الخطوب واقلقتهم الفتن، وتسلبت  
عليهم العدو، فأريقتم فيهم الدماء، ورملت النساء،  
ويتم الأطفال، ونهبت الأموال، فاحمدوا الله على ما  
أنتم فيه من أمن وأمان، ولا تنسوا إخوانكم أولئك من  
دعوة صالحة بأن ينفس الله كربتهم، ويفرج همهم،  
ويكبت عدوهم.

وتذكروا - إخواني - وأنتم تعيشون فرحة  
العيد بالحلل البهية والملابس الجميلة إخواناً لكم  
أرقهم الفقر، وأقعدتهم الحاجة، فمنهم من لم يجد  
لباساً يواريه، أو مسكناً يؤويه، أو طعاماً يشبعه  
ويغذيه، أو شرباً يرويه، فاحمدوا الله على ما أنتم  
فيه من نعمة وخير، ولا تنسوا إخوانكم هؤلاء من  
دعوات صالحات بأن يغنيهم الله من فضله، يغني  
فقرهم، ويشبع جائعهم، ويكسو عاريهم، ويسد  
حاجاتهم، ويكشف فاقتهم، ولا تنسواهم كذلك من  
مد يد المساعدة لهم، إما بمال أو لباس أو طعام أو  
لحاف: ﴿وَمَا تَقْدِرُوا إِلَّا عَلَىَّ مِنْ خَيْرٍ مُنْذَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَعْلَمُ  
بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المزمل: ٢٠].

وتذكروا - إخواني - وأنتم تعيشون فرحة العيد  
إخواناً لكم قيدتهم الذنوب، وكبلتهم الخطايا، فمضى  
المؤمنون المحذون في طاعة الله، وتناسوا الصالحون  
في التقرب إليه سبحانه، وهؤلاء في لهوهم وغيبهم  
سأرون، وعن طاعة الله والتقرب إليه متفاسون،  
وعلى المعاصي والخطايا والأثام مكبون، تمر عليهم  
مواسم العبادة والمنافسة في فعل الخير فلا يتحركون،  
فاحمدوا الله على ما أمركم به من توفيقه، وما هداكم  
إليه من التقرب إلى مرضاته، قال الله تعالى: ﴿تَتَذَكَّرُونَ  
أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْذَّكِّرِينَ﴾ [فاطر: ٣٢]، لا تنسوا إخوانكم أولئك من  
دعوة صالحة أن يهديهم ربهم إلى الخير، وأن يرزقهم  
إلى الحق رداً جميلاً، وأن يصلح ضالهم، ويوفق  
حائرهم، ويشرح صدورهم، ويحبب إليهم الإيمان  
ويزيينه في قلوبهم.

استدامة أمر الطاعة وامتداد زمانها

وتذكروا - إخواني - وأنتم تعيشون فرحة العيد،  
إن استدامة أمر الطاعة وامتداد زمانها زاد الصالحين،  
وتحقيق أمل المحسنين، وليس للطاعة زمن محدود  
ولا للعبادة أجل معدود، بل هي حق لله على العباد  
يعمرون بها الأكوان على مر الأزمان، وشهر رمضان

ميدان لتنافس الصالحين، وتسابق المحسنين، يسمون  
بارواحهم إلى الفضائل ويمنعون عنها الرذائل، ويجب  
أن تسير النفوس على نهج الهدى والرشاد بعد  
رمضان، فالمسلم حقاً من تكون تقوى الله دثاره طيلة  
عمره، ولباسه مدة حياته، والمؤمن الحق من يكون عمله  
بالطاعات، واجتنابه للمعاصي، ريدناً له ومنهاجاً، إلى  
أن يتوفاه الله، فلا تزيده مواسم الخير إلا اجتهداً  
في العبادة، وحرصاً على الطاعة، قرا الحسن البصري  
رحمه الله تعالى قوله: «رَأَيْتُ رَجُلًا حَقَّ بِأَيْتِكَ الْيَقِينُ»  
[الحجر: ٩٩]، فقال: «إن الله لم يجعل لعمل المؤمن  
أجلاً دون الموت» [الزهد لابن المبارك ص ٢٧١]

وقال ابن المبارك في الزهد: واعلموا - إخواني -  
أن للقبول والربح في هذا الشهر علامات، وللخسارة  
والرد أمارات، وأن من علامة قبول الحسنة فعل  
الحسنة بعدها، ومن علامات السيئة السيئة بعدها،  
فاتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة قبولها،  
واكثروا من الحسنات بعد السيئات تكن كفارة لها  
ووقاية من خطرها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ  
لَيُكْفِّرُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

والمعنى: فمن كانت حاله بعد رمضان أحسن منها  
قبله؛ بأن كان ثقبلاً على الخير، حريصاً على الطاعة،  
مواظباً على حضور الجمع والجماعات، بعيداً عن  
المعاصي والسيئات، فهذه أمانة قبول عمله، إن شاء  
الله تعالى.

أما من كان حاله بعد رمضان كحالته قبله، من ترك  
الطاعات والانغماس في المعاصي والسيئات، فهذا  
أمره إلى مولاه.

وأخيراً تذكروا إخواني وأنتم تعيشون  
فرحة العيد أن يكون هذا العيد نقطة تحول من  
حياة الأمة من الفرقة والاختلاف إلى الاجتماع  
على كلمة التوحيد والائتلاف، إن أخوة الإسلام  
هي روح الإيمان القوي، وأساس المشاعر الكريمة  
التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم،  
ويعيش معهم وفيهم، فكانهم جميعاً أغصان  
تفرعت من دوحة عظيمة مقسعة واحدة، وانبتقت  
من أصل واحد، لتبقى القاعدة الكبرى التي يقوم  
عليها المجتمع الإسلامي العالمي، تضمه أصرة  
خاصة، وتظله راية واحدة لا ثاني لها، إنها راية  
الإيمان، وأصرة الأخوة في الإسلام، يقول الله  
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا حُلِفَ عَلَيْكُمْ فَأَتُوا حُلْفَ  
كُمْ يَوْمَ الْوَعْدِ وَأَلْفَاكُمْ وَأَنفُسُكُمْ لِلَّهِ أَذَىٰ يَوْمَ  
ذَلِكَ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، لا تنسوا إخوانكم أولئك من  
دعوة صالحة أن يهديهم ربهم إلى الخير، وأن يرزقهم  
إلى الحق رداً جميلاً، وأن يصلح ضالهم، ويوفق  
حائرهم، ويشرح صدورهم، ويحبب إليهم الإيمان  
ويزيينه في قلوبهم.

والحمد لله رب العالمين



العاق لوالديه  
وهل يجوز حرمانه من عطيتهما

(نقلًا عن مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة الخامسة والعشرون، العدد ٩٧)

سؤال مفاده ان ولدا يهجر والديه فلا يسلم عليهما ولا يزورهما في مرضهما، وقد نصحه إخته واقرباؤه فلم ينته عن عقوبته، وعندما اراد أبوه عطية (ولاده قيل له بالا يعطيه؛ لانه عاق ولا ينبغي بره على عقوبته ؟

[illegible]

والاحاديث النبوية في تحريم عقوق  
الوالدين كثيرة ومعلومة، منها قول رسول

الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الكبائر  
الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس...»  
الحديث [البخاري: ٢٦٥٤]، وقوله عليه الصلاة  
والسلام: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» وما قيل:  
بلى يا رسول الله، قال: «الشرك بالله، وعقوق  
الوالدين...» الحديث. [البخاري: ٢٦٥٤].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه». فقيل: يا رسول الله، كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب أباه الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه».

[البخاري: ٥٩٧٣].

والمسلمون في سلفهم وخلفهم مجمعون على  
أن عقوق الوالدين من أكبر الذنوب وأعظمها،  
وأنه من أسوأ الصفات وأرذل الرذائل وأفحش  
الأفعال، ولا يفعله إلا من عظم ذنبه وأضل نفسه  
وتعرض لعقاب الله في الدنيا والآخرة؛ لأن الله  
قد جعل من أكبر الكبائر وتوعد فاعله بسوء  
الجزاء.

والاحاديث النبوية في وجوب بر الوالدين كثيرة معلومة، منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم انف، ثم رغم انف، ثم رغم انف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة». [مسلم: ٢٥٥١].

ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه». [مسلم: ١٥١٠]، ومنها ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. قال: «فهل من والديك أحد حي؟» قال: نعم، بل كلاهما، قال: «فتبتغي الأجر من الله تعالى؟» قال: نعم. قال: «فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما». [مسلم: ٢٥٤٩].

هذا ما مناطه حقوق الوالدين وتحريم عقوقهما، واعلم أن الأصل عدم التفضيل في العطية بين الأولاد، ففي مذهب الإمام أبي حنيفة ينبغي للوالد أن يسوي بين الأولاد في العطية. أما في مذهب الإمام مالك، فقد سئل الإمام عن الرجل يكون له ولد فيبره بعضهم فيريد أن يعطيه من ماله دون بعض أنلك له؟ فقال - رحمه الله -: نعم، لا بأس به، وذكر ابن رشد إنما أجاز للإمام مالك أن يعطي الرجل العطية لمن يبره منهم؛ لأنه لم يقصد بذلك إلى تفضيل بعض ولده على بعض وإنما أعطى البار جزاء على برة، وحرّم العاق أدباً لعقوقه؛ فلا مكروه في ذلك إن شاء الله.

وإنما المكروه أن يفضل بعض ولده على بعض فيخصه بعطية مخافة أن يكون ذلك سبباً إلى أن يعقه الذي حرمه عطيته أو يقصر بما يلزمه من البر به.

وفي مذهب الإمام الشافعي، يسن للوالد العدل في عطيقته اولاده بان يسوي بين الذكر والانثى؛ لحديث النعمان بن بشير انه قال: وهبني ابي هبة فقالت امي عمرة بنت رواحة: لا ارضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتى ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ان ام هذا أعجبتها ان أشهدك على الذي وهبت لابنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بشير، انك ولد سوى هذا؟» قال: نعم. قال: «كلهم وهبت له مثل هذا؟» قال: لا. قال: «فارجعه، اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم». وفي لفظ آخر قال: «فاشهد على هذا غيري». وفي لفظ آخر: «لا تشهدني على جور». [نهاية المحتاج ٤/١١٥].

قال المصنف: فإن ترك العدل بلا عذر كره عند أكثر العلماء خلافاً لمن ذهب إلى حرمة والأصل في ذلك خبر البخاري: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم». وخبر الرواية الأخرى (رواية الإمام

أحمد أنه قال: لا تشهديني على جور بنيك عليك،  
من الحق أن تعدل بينهم)، وفي رواية مسلم  
(أشهد على هذا غيري)، فأمره بإشهاد غيره،  
صريح في الجواز، وتسميته جوراً باعتبار  
ما فيه من انتفاء العدل المطلوب، فلو علم من  
المحروم الرضا وظن عقوق أخيه لفقره ورقة  
دينه لم يستحب له الرجوع، ولم يكره التفضيل،  
كما لو حرم فاسقاً لئلا يصرفه في معصيته أو  
عاقاً أو زاد أو أثر الأحوج المتميز بنحو فضل،  
كما فعله أبو بكر بتفضيل عائشة رضي الله  
عنهما.

وأما في مذهب الإمام أحمد، فالمشروع في عطية الوالد القسمة بينهم على قدر ميراثهم، فحعل للذكر مثل حظ الأنثيين.

قلت: الأصل عدم جواز التفضيل بين الأولاد في العطية من والديهم لما في ذلك من الآثار السيئة على المفضل عليهم فمن العدل أن يساوي الوالدين بين أولادهم في العطية لأن ذلك من العدل والعدل مما أمر به الله - عز وجل - في قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» [النحل: 9]، كما أمر به رسوله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر آنفاً من قصة النعمان بن بشير...

هذا في العموم، أما إذا كان الولد قد ارتكب ما حرم الله عليه من عقوق والديه أو أحدهما، مع علمه بما يجب عليه من برهما وصلتهما فلا يجب له البر من أحدهما أو كليهما، فالحسنة تجزى بالحسنة والسيئة تجزى بالسيئة ولا يستوي الخبيث والطيب، كما قال الله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]، فلو بر الوالد ولده العاق لاستوى في ذلك المطيع والعاصي والبار والعاق، وهذا لا يستويان، ناهيك بأن في حرمان العاق من بر والديه أدب له ومانع له من الاستمرار في عقوقه.

وخلاصة المسألة: وجوب بر الولد لوالديه وتحريم عقوقهما، ووجوب العدل في عطية الوالد ولده، وذلك بالتساوي بينهما، مع استثناء العاق من عطيتهما؛ لأن في ذلك أدباً له ومائناً له من الاستمرار في عقوقه.

والله الموفق.



## واحة التوحيد

### من فضائل الصحابة

**أبو بكر الصديق المرجع للأمة بعد رسول الله**  
عن جبير بن مطعم قال: أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فكلمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرايت إن جئت ولم أجدك كأنها تريد الموت. قال: فإن لم تجدني فاتي أبا بكر. [متفق عليه].

## من نور كتاب الله

### حرمة دماء المسلمين

قال تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

تَعَمَّدًا فَجَزَاءُ مِثْلِهِ خَلِيدًا فِيهَا  
وَعُذُوبَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ وَعَدْلُهُ عِنْدَ  
عَظِيمًا، [النساء: ٩٣].

## من هدي رسول الله

### صلى الله عليه وسلم

### صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر». [صحيح مسلم ١١٦٤].

## أحاديث

### علاء خضر

### من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

عن العرياض بن سارية رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين. وإن آدم لمنجدل في طينته. وسأخبركم بأول أمري دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام». [أخرجه أحمد في مسنده (١٧٢٠٣) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح].

### من أقوال السلف

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «السنة السنة، وإياكم والبدع، حتى مات». وعن أبي العالية قال: «من مات على السنة مستورا، فهو صديق». وكان يقول: «الاعتصام بالسنة نجاة». [كتاب السنة للبرهاري].

### من جوامع الأدعية

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: اللهم لك وإليك أنبت، وبك أمنت، وعليك توكلت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت اللهم إني أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون. متفق عليه.

### أحاديث باطلة لها

### أثار سيئة

«براءة من الكبر: لبوس الصوف ومجالسة فقراء المسلمين وركوب الحمار، واعتقال العنز، الحديث ضعيف جدا. ويعارض حديث الرسول الصحيح في تعريف الكبر وهو رد الحق واحتقار الناس. [السلسلة الضعيفة للألباني].

### زكاة الفطر قبل صلاة العيد

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: زكاة الفطر طهارة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات. [سنن أبي داود ١٦١١ وحسنه الألباني].

### حكم ومواعظ

عن الحسن رحمه الله قال: «المؤمن في الدنيا كالغريب لا ينافس في عزها، ولا يجزع من ذلها، للناس حال وله حال، الناس منه في راحة، ونفسه منه في شغل. [شعب الإيمان للبيهقي].

### الرجوع إلى الله يصلح حكام المسلمين!

قال ابن القيم: عن مالك بن دينار قال: قرأت في الحكمة يقول الله عز وجل: أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة. فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك، ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم، وفي مراسيل الحسن: إذا أراد الله بقوم خيرا جعل أمرهم إلى حلمانهم وفيئهم عند سمحائهم، وإذا أراد بقوم شرا جعل أمرهم إلى سفائهم وفيئهم عند بخلائهم. [الجواب الكافي ص ٣١].

### قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

قال شيخ الإسلام: «إنه إذا أصابك مضرة كالخوف والجوع والمرض، فإن الخلق لا يقدر أن يدفعها إلا بإذن الله، ولا يقصدون دفعها إلا لغرض لهم في ذلك... فلا تعلق بهم رجاءك. [مجموع الفتاوى ١/ ٣١].

### من حكمة الشعر

قال الشاعر في التفات على الولاية والحكم والذي هو من مصلحة الأعداء نسال الله أن يسلم بلاد المسلمين، قال: امن السياسة أن يقتل بغضنا بعضا ليدرك غيرنا الأمل أو كلما طمع القوي شراة اكل الضعيف تحيفا واعتبالا.







الفريضة في الصلوات الخمس، وليس بنص في ركعتي الإحرام، وكونه أحرم بعد الفريضة لا يدل على شرعية ركعتين خاصة بالإحرام، وإنما يدل على أنه إذا أحرم بالعمرة أو بالحج بعد صلاة، يكون أفضل إذا تيسر ذلك. (مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز ٦٧/١٧ بتصرف)، فإذا أتم هذه الأعمال، فقد تهيأ للإحرام، وليس فعل هذه الأمور إحراماً كما يظن كثير من العوام؛ لأن الإحرام هو نية الدخول والشروع في النسك.

#### محظورات الإحرام: وهي ما يحرّم على المحرم فعله.

١- ليس المخيط: وهو كل ما خيط على قياس عضو، أو على البدن كله، مثل: القميص، والسراويل، والجبة، والصدرية، وما أشبهها، وليس المراد بالمخيط ما فيه خياطة كما يفهمها كثير من العامة. (الشرح الممتع ١٢٦/٧ بتصرف)، فعن ابن عمر قال: قال رسول الله: (لا يلبس المحرم القميص ولا البرانس ولا السراويل). متفق عليه.

قلت: وعلى ذلك فلا حرج في لبس حزام الوسط وكذا ما يوضع فيه النقود، وكذا النعلين، وإن دخل كل هذه الأشياء الخياطة، فليس هذا مما يدخل في معنى المخيط، وكذلك لا بأس للمحرم أن يلبس الخاتم والساعة، ونظارة العين، وساعة الأذن وغيرها.

ولفظ المخيط من عبارات الفقهاء التي لم يرد ذكرها في السنة؛ ولذلك أحدث فهمها إشكالا للعامة. قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: فالتعبير الذبوي أولى من هذا، لأن فيه عذراً وليس حرجاً وليس فيه إيهام. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ١٢٨/٧).

٢- تغطية الرأس بملاصق: لحديث ابن عمر السابق قال: قال رسول الله: (لا يلبس المحرم العمامة...). متفق عليه.

وعلى هذا فلا يجوز للمحرم أن يضع غطاء على رأسه، سواء كان عمامة أو كان طاقية ونحوها، فإنه يحرم عليه أن يغطي رأسه، وهذا بإجماع العلماء رحمة الله عليهم. (شرح زاد المستقنع للشنقيطي ٤٢٤/٥) وأنه ليس النهي عن مجرد التغطية، بل النهي عن التغطية الملاصقة التي هي بحكم الملابس. وقد أجمع أهل العلم على أن من دخل قبة أو داراً، فإن ذلك جائز ولا فدية عليه. ودليل ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر وهو حديث طويل وفيه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم: ضربت له قبة بنمرة). (شرح الزاد للمحمد ٧٥/١١).

٣- النقاب وليس القفازين: عن ابن عمر قال: قال رسول الله: (ولا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين). متفق عليه.

٤- إزالة شعر الرأس: (والحق العلماء به بقية شعر

البدن). قال تعالى: «ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله». ولا شك أن الدليل أخص من المذلول، فالمنهي عنه في الدليل حلق الرأس. ولا يصح الاستدلال بالأخص على الأعم، ولكنهم يقولون: نحن نقيس حلق بقية الشعر على شعر الرأس. وقال ابن حزم، والظاهرية: لا نسلم القياس، لم ينها إلا عن حلق شعر الرأس، فلماذا نضيق على عباد الله، ولكن البحث النظري له حال، والتطبيق العملي له حال آخرى، ولو أن الإنسان تجنب الأخذ من شعوره كشاربه، وإبطه، وعانته احتياطاً لكان هذا جيداً، لكن أن نلزمه ونؤلمه إذا أخذ مع عدم وجود الدليل الراجع للإباحة، فهذا فيه نظر. (الشرح الممتع ١١٧/٧ بتصرف).

والحق العلماء بحلق الشعر: إزالة الظفر من اليدين أو الرجلين. ونقل بعض العلماء الإجماع على أنه من المحظورات، فإن صح هذا الإجماع، فلا عذر في مخالفته، بل ليتبع، وإن لم يصح فإنه يبحث في تقليد الأئمة كما بحثنا في حلق بقية الشعر. (الشرح الممتع ١١٧/٧).

٥- استعمال الطيب في بدنه أو ثوبه: فالمحرم - ذكرًا كان أو غيرة - ممنوع من استعمال الطيب في إزاره أو ردائه وجميع ثيابه، وفراشته ونعله، حتى لو غلق بنعله طيباً وجب عليه أن يبادر لنزعها، ولا يضيغ عليه ثوباً مشه الوُرس أو الزعفران أو نحوهما من صيغ له طيب؛ لحديث ابن عباس قال: (وقصت رجل محرم ناقته فقتلته، فأتني به رسول الله، فقال: اغسلوه بماء وسدر، ولا تغطوا رأسه ولا تمسوه بطيب) متفق عليه.

والأصل في حظر تطيب الطيب وتبسه بعد الإحرام قوله صلى الله عليه وسلم: لا تلبسوا شيئاً من الثياب مشه الزعفران ولا الوُرس. [سنن ابن ماجه ٢٩٢٩] (الموسوعة الفقهية الكويتية ١٢/١٧٩ بتصرف).

٦- عقد النكاح (وليس فيه فدية): لحديث عثمان بن عفان قال: قال رسول الله: (لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب). متفق عليه.

٧- الجماع في الفرج: إذا وقع الجماع قبل الطواف تفسد العمرة باتفاق أهل العلم.

٨- مقدمات الجماع كاللمس والتقبيل ونحوهما. ٩- قتل الصيد: وكذا الصيد ولو بدون قتل؛ لقوله تعالى: «وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً»، وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم». وأنتم حرم.

١٠- قطع شجر الحرم: وهذا محل اتفاق بين الفقهاء.

نسال الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تكلّمنا في الحلقة السابقة عن تغير الفتوى بتغير الأحوال، ورأينا أهمية هذا البحث، مدللين على ذلك بالأمثلة.

ومما يرتبط بهذا البحث مسألة: أثر العرف (العادة) في الفتوى.

#### أولاً: هل العرف والعادة يعني واحد؟

في استعمال الفقهاء فإن العرف والعادة بمعنى واحد، وإن كان هناك من يفرق بينهما، فيجعل العادة أعم من العرف، ومنهم من يقول بالعكس. [انظر غمز عيون البصائر ٢٩٥/١].

#### ثانياً: تعريف العرف

هو تكرار الأمر مرة بعد أخرى تكراراً حتى يتقرر في النفوس، ويكون مقبولاً عندها.

#### ثالثاً: أقسام العرف

ينقسم العرف من حيث الموضوع إلى قسمين: ١- العرف اللفظي:

وهو أن يشيع بين الناس استعمال بعض الألفاظ والتراكيب في معان معينة، مثل: البيت يستعمل في غالب البلاد بمعنى جميع الدار، لكن في بعض بلاد المغرب العربي يستعمل بمعنى الغرفة.

الولد: قصره على الذكر دون الأنثى، مع أنه في اللغة يشملهما.

والعرف اللفظي يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه دون حاجة إلى قرينة، حتى سموا استعمال اللفظ فيه حقيقة عرفية، لأن المعنى اللغوي صار مهجوراً لا يقصد من اللفظ إلا بقرينة تدل على إرادته.

فمن قال لآخر اشتر لي دابة، والمتعارف عندهم أن لفظ الدابة يطلق على الحمار فقط، فليس له أن يشتري فرساً أو بغلاً، استنباطاً من أن لفظ الدابة يطلق عند آخرين على ذات الأربع.

#### ٢- العرف العملي:

وهو أن يعتاد الناس على بعض الأفعال في المعاملات، كمثال اعتياد بعض أصحاب الحرف تعطيل بعض أيام الأسبوع عن العمل، أو ارتداء زي معين، أو تعجيل جزء من المهر وتأجيل الباقي إلى ما بعد الطلاق أو الوفاة. وتعارف الناس تقديم الأجرة قبل استيفاء



## دراسات شرعية

# أثر السياق

# في فهم النص

# العرف وأثره في الفتوى



متولي البراجيلي

اعداد



المنفعة في إجارة الأماكن شهرياً أو سنوياً. واعتياد الناس عند بيع الأشياء الثقيلة أن تكون حملتها إلى مكان المشتري على البائع، والعرف العملي عند الحنفية يعتبر مخصصاً إذا كان عاماً (أي عرفاً عاماً ليس خاصاً) خلافاً للجمهور، حيث لا يعتبرون العرف مخصصاً إلا إذا كان قولياً.

مثال للعرف العملي المخصص:

لو وكل شخص آخر بأن يشتري له خبزاً أو لحماً، ومن عادة الناس في تلك البلدة أكل خبز خاص ولحم خاص، فليس للوكيل أن يشتري للموكل خبزاً من نوع آخر أو لحماً غير ما اعتادوه، اعتماداً على إطلاق الموكل؛ لأن العرف هنا يخصص به الإطلاق، فيسمى عرفاً عاماً مخصصاً. (الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، د. محمد صدقي، بتصرف - آل بورتو ٢٨٠/٢٨١).

- كما أن العرف ينقسم من حيث الشيوع والانتشار إلى قسمين أيضاً:

١- العرف العام: وهو العرف الذي يكون منتشرًا في جميع البلاد، كعقود الاستصناع (عقد الاستصناع: هو أن يتفق شخص مع آخر على صناعة شيء مقابل ثمن معين وأوصاف معينة) في كثير من الحاجات التي يحتاجها الناس من ملابس وبنيان ونحو ذلك.

٢- العرف الخاص: وهو اقتصره على بلد معين، أو مكان معين، أو فئة من الناس.

#### رابعاً: حجية العمل بالعرف:

اختلف العلماء في حجية العمل بالعرف، فبعضهم يرى أنه دليل من أدلة الأحكام، وعليه قدماء علماء الحنفية والمالكية، وبعضهم يرى أن العرف لا يصلح دليلاً لإثبات حكم شرعي.

ويمكن التقريب بين الرأيين: بأن أصحاب الرأي الأول يعدون العرف دليلاً، وذلك عند الاختلاف مع عدم وجود الدليل الشرعي في المسألة، وهذا لا ينكره أصحاب الرأي الثاني.

وأصحاب الرأي الثاني يرون عدم الاعتماد على العرف كدليل مستقل في بناء الأحكام بدون النظر إلى موافقة الدليل الشرعي أو مخالفته، وهذا لا ينكره أصحاب الرأي الأول. [الممتع في القواعد الفقهية بتصرف ص ٢٧١، ٢٧٢].

#### خامساً: ضوابط العمل بالعرف:

- ألا يعارض العرف نص شرعي خاص، بحيث يؤدي العمل بالعرف إلى تعطيل النص، فهنا لا اعتبار للعرف، مثال ذلك: لو جرى العرف في بعض البلاد على المتاجرة في الخمر، فهذا عرف يهذر وهو غير معتبر، لأنه عارض نصاً خاصاً في تحريم الخمر، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُمُ الرَّسُولَ وَهُوَ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فَذُكِّرُوا بِلِقَائِهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

مثال ثان: العمل بالربا: فلو جرى العرف في بعض البلاد على العمل بالربا، فالعرف هنا أيضاً لا اعتبار له؛ لأن النص الخاص عارضه، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

- أما لو عارض العرف نص عام، فإن العرف هنا لا يهمل، لكن بشرط أن يكون العرف عاماً، وأن يكون قائماً عند ورود النص، فيعمل به وبالنص.

مثال ذلك: بيع الإنسان ما ليس عنده، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبيع ما ليس عندي. (صحيح سنن الترمذي وغيره).

والعمل بالاستصناع كان عرفاً عاماً وقائماً عند ورود النص، وهو من قبيل بيع الإنسان ما ليس عنده، لكن عمل به الصحابة رضي الله عنهم.

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم استصنع خاتماً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: اصطنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً، فقال: إنا قد اصطنعنا خاتماً ونقشنا فيه نقشاً فلا ينقش عليه أحد. [صحيح سنن ابن ماجه].

مع ملاحظة أن الشرع لو أقر عرفاً كان موجوداً، فهنا يتحول العرف إلى شرع، فلا يجوز تغييره ويصير حكماً ثابتاً.

مثال ذلك: الطهارة من النجاسة، ستر العورة، ارتداء الحجاب لدى نساء المسلمين.

- أما إن كان العرف ليس حكماً شرعياً ولا مناهياً لحكم شرعي، فالناس يطورون حياتهم حسب مقتضيات الزمن.

ومن أمثلة ذلك: في زمن أبي حنيفة أفتى بأن صبيغ الثوب بالأسود يعيبه؛ وذلك لأنه في زمنه كان الصبيغ بالأسود يُعد عيباً، لكن في زمن صاحبه تغير العرف، واستحسن الناس السواد، فافتى أصحابه بأن الصبيغ باللون الأسود لا يعد عيباً.

مثال آخر: في فترة زمنية كان يُعد الأكل في الشوارع من خوارم المروءة، وكان لا يُقبل شهادة من أكل في الشارع؛ لأنه من قبيل الفسق الذي ترد به الشهادة، لكن تغيرت أعراف الناس بعد ذلك، فلم يعد الأكل في الشوارع من خوارم المروءة.

٢- أن يكون العرف مطرداً أو غالباً، بمعنى أن يكون العمل بالعرف مستمراً في جميع الحوادث، لا يتخلف، أو مستمراً في أكثر الحوادث، بحيث لا يتخلف العمل به إلا قليلاً، وهذا الشرط يُعبر عنه بقاعدة، وهي: «إنما تُعتبر العادة (العرف) إذا اطرأت أو غلبت، أما النادر، وهو ما يقع قليلاً، فإنه لا يلتفت إليه، فالشرع يبني أحكامه على ما يكثر وقوعه».

والإجماع منعه على اعتبار الغلبة والعمل بالغالب، ومن ذلك: الاتفاق على العمل ببعض الأحوال التي تفيد الظن في الجملة؛ كخبر الواحد، والعمومات، والأقيسة، ونحوها، وذلك بسبب غلبة الصدق أو الصحة فيها.

كما أن اعتبار الشيء النادر ومراعاته وبناء الأحكام عليه، فيه مشقة وعسر.

مثال ذلك: وقت التكليف هو البلوغ، وذلك لظهور علامات البلوغ، فإذا لم تظهر علامات البلوغ، اعتبر الشرع أن بلوغ الإنسان خمس عشرة سنة هو سن التكليف، فالذي لا يبلغ عند هذه السن نادر، لذا لم يلتفت إليه الشارع والحقق بالغالب.

ومن ذلك حياة المفقود بعد تسعين سنة من ولادته، فهذا قليل أو نادر، وموته بعد هذه السن هو الغالب، لذا يحكم بموته ويُقسم ماله بين ورثته.

٣- أن يكون العرف المراد تحكيمة قائماً وموجوداً عند إنشاء التصرف، ويعبر عن هذا بقاعدة، وهي: «العرف الذي تحمل عليه الألفاظ إنما هو المقارن دون السابق والمتأخر».

بمعنى أن الألفاظ لا تفسر بالأعراف السابقة عليها - من زمن - أو المتأخرة عنها.

٤- أن لا يعارض العرف تصريح بخلافه، فلو عارض العرف تصريح بخلافه، فإن العرف يُهمل ويؤخذ بالتصريح، ويعبر عن هذا بقاعدة هي: «لا عبرة للدلالة في مقابل التصريح». (انظر الممتع في القواعد الفقهية ٢٨٢/٢٨٣).

#### سادساً: أدلة العمل بالعرف:

وقد دل العمل بالعرف الكتاب والسنة والأثر:

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُمُ الرَّسُولَ وَهُوَ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فَذُكِّرُوا بِلِقَائِهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾ [المائدة: ٩٠]. قال ابن السمعاني:

المراد ما يعرف الناس ويتعارفونه فيما بينهم. وقال ابن عطية: معناه: كل ما عرفته النفوس مما لا تردّه الشريعة، وقال ابن مظفر في «النيبوع» العرف ما عرفه العقلاء بأنه حسن وأقرهم الشارع عليه. [التبخر شرح التحرير ٢٨٥٢/٨ علاء الدين المرادوي].

وقال ابن القيم: وقد أوجبت الشريعة الرجوع إليه (أي: العرف) عند الاختلاف في الدعاوي. [الطرق الحكيمة ٧٩/١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال ابن القيم: ودخل في قوله - وذكر الآية - جميع الحقوق التي للمرأة وعليها، وأن مرد ذلك إلى ما يتعارفه الناس بينهم ويجعلونه معروفاً لا منكراً. [إعلام الموقعين ٢٥٢/١].

وقوله تعالى في كفارة اليمين: ﴿كَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا ظَلَمُونَهُمْ مِنْ أَوْسَطِ مَا﴾ [المائدة: ٨٩]. فامر الله تعالى بإطعام المساكين من أوسط ما يطعم الناس أهلهم، والمرجع في ذلك إلى العرف، يطعم كل قوم مما يطعمون منه أهلهم.

وكل ما تكرّر من لفظ «المعروف» في القرآن نحو: ﴿وَقَالُوا هَذَا إِلهٌ مُشْرِكٌ بِهِ﴾ [النساء: ١٩]. فالمراد ما يتعارفه الناس من مثل ذلك الأمر.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُمُ الرَّسُولَ وَهُوَ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فَذُكِّرُوا بِلِقَائِهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾ [المائدة: ٨٩]. فامر الله تعالى بإطعام المساكين من أوسط ما يطعم الناس أهلهم، والمرجع في ذلك إلى العرف، يطعم كل قوم مما يطعمون منه أهلهم.

فالأمر بالاستئذان في الأوقات التي جرت العادة فيها بالابتدال ووضع الثياب، شابتني الحكم الشرعي على ما كانوا يعتادونه.

- وقد ورد لفظ المعروف في القرآن العظيم في سبعة وثلاثين موضعاً.

أما من السنة: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن هند زوجة أبي سفيان قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدت بالمعروف. [متفق عليه].

- وهو عادة الناس، وهذا يدل على أن العرف عمل جار. قال ابن بطال: العرف عند الفقهاء أمر معمول



# وقفات مع حديث « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

المستشار: أحمد السيد علي

(إعداد)

الله في شرحه للأربعين النووية؛ حيث قال: قوله: « لا يؤمن أحدكم » أي: لا يتم إيمان أحدنا، فالنفي هنا للكمال والتمام، وليس نفياً لأصل الإيمان.

فإن قال قائل: ما دليلكم على هذا التأويل الذي فيه صرف الكلام عن ظاهره؟

قلنا: دليلنا على هذا أن ذلك العمل لا يخرج به الإنسان من الإيمان، ولا يعتبر مرتداً، وإنما هو من باب النصيحة، فيكون النفي هنا نفياً لكمال الإيمان.

فإن قال قائل: الستم تنكرون على أهل التأويل تأويلهم؟

فالجواب: نحن لا ننكر على أهل التأويل تأويلهم، إنما ننكر على أهل التأويل تأويلهم الذي لا دليل عليه؛ لأنه إذا لم يكن عليه دليل صار تحريفاً وليس تأويلاً، أما التأويل الذي دل عليه الدليل فإنه يعتبر من تفسير الكلام، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل» [أخرجه البخاري].

**الوقفة الثانية: شمول الحكم للرجال والنساء:** فقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم) وإن كان خطاباً للرجال، إلا أنه يشمل الرجال والنساء؛ لاشتراكهما في الحكم، فالمرأة لا تؤمن حتى تحب لأختها ما تحبه لنفسها، فعن عائشة قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلبل ولا يذكر احتلاماً، قال: يغتسل، وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد....

فمن أعظم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم حديث أنس بن مالك (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [متفق عليه]، فهو أصل عظيم في محبة المسلمين والنصح لهم، وإيثارهم ومعاملتهم كمعاملة النفس، ولو وعاه المسلمون وعملوا بما جاء به لاستقامت أمور الناس وقل الفساد المستشري في كل مناحي الحياة.

ولاهمية هذا الحديث، فقد بوب البخاري باباً في كتاب الإيمان في صحيحه بعنوان (باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) كما بوب مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باباً بعنوان (باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير)، وذكره النووي في كتابه الأربعين النووية برقم ثلاثة عشر.

**ولنا مع هذا الحديث الوقفات الآتية:**

**الوقفة الأولى: معنى نفي الإيمان:**

ورد نفي الإيمان في القرآن والسنة في مواضع عدة، ولم يات النفي على معنى واحد، بل على معنيين هما:

الأول: نفي أصل الإيمان لانتفاء بعض أركانه: بحيث يصير العبد كافراً بتركه لأصل الإيمان. ولكل مرتبة نظائر في الأدلة الشرعية والسياق والقرائن تدل عليها، فإن كان المنفي ركناً حُمِلَ النفي على أصل الدين، وإن كان المنفي واجباً حُمِلَ على كماله الواجب.

والنفي الوارد في الحديث الذي بين أيدينا نفي لكمال الإيمان الواجب، وليس نفياً لأصل الإيمان كما ذكره العلامة ابن عثيمين رحمه

موتقون، وحسنه السخاوي في المقاصد الحسنة ح ٩٥٩، وكذا الألباني في السلسلة الضعيفة، وقال بضعة مرفوعاً، وتحسينه موقوفاً ح ٥٣٣.

[قاعدة: يحتج البعض بهذا الأثر على البدعة ظالماتها الناس حسنة، وهذا احتجاج باطل لأسباب منها:

١- أن الأثر موقوف فلا يجوز أن يحتج به في معارضة النصوص القاطعة أن كل بدعة ضلالة.

٢- وعلى افتراض صلاحية الاحتجاج به؛ فإنه لا يعارض تلك النصوص، لأن: الأول: أن المراد به إجماع الصحابة وإتفاقهم على أمر، كما يدل عليه السياق، ويؤيده استدلال ابن مسعود رضي الله عنه على إجماع الصحابة على انتخاب أبي بكر خليفة.

٣- وليس المراد به قطعاً كل فرد من المسلمين، وإنما يقصد به العلماء المجتهدون. [انظر السلسلة الضعيفة ١٧/٢ - ١٨].

وبوب البخاري في الصحيح: باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع والإجارة والمكيل والوزن، وسنتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة:

وأورد تحته بعض الأدلة والآثار على العمل بالعرف، منها: واكثر (استاجر) الحسن (البصري) من عبد الله بن مرداس، حملاً، فقال: بكم؟ قال بدانقين، فركبه، ثم جاء مرة أخرى، قال: الحمار الحمار، مرتين ولم يشارطه فبعث إليه بنصف درهم. [صحيح البخاري: ٧٩/٣].

قلت: ولم يسأله عن ثمن الإيجار في المرة الثانية، وعملاً بالعرف الذي تعارفاً عليه في المرة الأولى، بل زاده على ما شارطه من باب الفضل.

قال ابن المنير: مقصوده (أي البخاري) بهذه الترجمة إثبات الاعتماد على العرف، وأنه يقضي به على ظواهر الألفاظ، ويرد إلى ما خالف الظاهر من العرف. [المتواري على أبواب البخاري ٢٤٦/١].

وقال الحافظ ابن حجر: «... ولو أن رجلاً وكل رجلاً في بيع سلعة، فباعها بغير النقد الذي عرف الناس، لم يجز، وكذا لو باع موزوناً أو مكيلاً بغير الكيل أو الوزن المعتاد.

وذكر القاضي حسين من الشافعية: أن الرجوع إلى العرف أحد القواعد الخمس التي يبني عليها الفقه. [فتح الباري ٤٠٦/٤].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

به، وهو كالشرط اللازم في البيوع وغيرها. [شرح صحيح البخاري ٢٣٣/٦].

وقال الحافظ ابن حجر: ومنه اعتماد العرف في الأمور التي لا تحديد فيها من قبل الشرع، وقال القرطبي: فيه اعتبار العرف في الشرعيات. [فتح الباري ٥١٠/٩].

- وعن حرام بن سعد: أن ناقة للبراء بن عازب رضي الله عنه دخلت حائطا فافسدت فيه، فقصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل الحوائط (البساتين وما شابهها) حفظها بالنهار، وأن على أهل المواشي حفظها بالليل. [رواه مالك وغيره وهو في السلسلة الصحيحة].

فقصى النبي صلى الله عليه وسلم في المسألة حسب أعراف الناس؛ إذ يكون أصحاب الحوائط بالنهار فيها، والمواشي تخرج بالنهار للرعي، فليحوموا حيطانهم، أما الليل فلا أحد في المزارع، ولا رعي للماشية فليحفظها أهلها ويضمنون إذا اتلفت ليلاً، ولا يضمنون نهاراً، وهذا حسب العرف السائد بين الناس. [الممتع في القواعد الفقهية، د. مسلم بن ماجد الدوسري ص ٢٧٤].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت في قول الله تعالى: «وَمَنْ كَانَ حَرْبًا فَيَسْتَعِظْ وَمَنْ كَانَ فَتِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» [النساء: ٦]: أنزلت في والي اليتيم الذي يقوم عليه ويصلح في ماله، إن كان فقيراً أكل منه بالمعروف. [متفق عليه].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهو يسلفون في الثمار السنة والستين والثلاث، فقال: من سلف في شيء فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم. [متفق عليه].

فالرسول صلى الله عليه وسلم أجاز السلم (السلف) - وهو بيع معدوم، فالبايع لم يمتلك السلعة بعد، وذلك بناءً على العرف الذي كان موجوداً في المدينة، وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم بما ينظم كيفية البيع والشراء ليقطع التنازع.

وهذا من العرف العملي الذي أقره النبي صلى الله عليه وسلم، وصار جائزاً بإقراره.

أما الأثر: فما ورد عن ابن مسعود - موقوفاً - رضي الله عنه أنه قال: (ما راه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما راه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ). [قال الحافظ الهيثمي في المجمع ١٧٨/١: رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير، ورجاله



يجد بلأ، قال: لا غسل عليه، قالت أم سلمة: يا رسول الله، هل على المرأة ترى ذلك غسل؟ قال: نعم، إن النساء شقائق الرجال [رواه الترمذي وصححه الألباني]، والمعنى والله أعلم: أنهم مثيلات الرجال، إلا ما استثناه الشارع؛ كالإرث والشهادة وغيرهما مما جاءت به الأدلة.

**الوقف الثالث:** شمول الحكم أن يكره له ما يكره لنفسه:

دل الحديث على أن من خصال الإيمان المستحبة أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، فباتية بما يجب أن يؤتى به، ويمنع عنه ما يجب أن يمنع عنه من الأذى، وينصح له، ويجتهد في أداء حقوقه واحترامه وتقديره، والنظر في مصالحه.

وأعظم ذلك إن رأى نقصاً في دين أخيه اجتهد في إصلاحه. قال بعض السلف: (أهل المحبة لله نظروا بنور الله، وعطفوا على أهل معاصي الله؛ مقتوا أعمالهم، وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواضع عن فعالهم، واشفقوا على أبدانهم من النار).

فإذا لم يكره المسلم المعصية وأحبها لنفسه، فهل يجوز له أن يحبها لأخيه؟ فالجواب بالقطع لا؛ لأن الحديث ليس على إطلاقه، بل هو مقيد بمحبة الخير فقط، فال مؤمن مأمور بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير» [رواه النسائي وصححه الألباني].

**الوقف الرابع:** معنى الأخوة الواردة في الحديث:

**تأتي الأخوة في القرآن والسنة على عدة معان هي:**

**الأول: أخوة الدين:**

قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الحجرات: ١٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره» [رواه مسلم].

**الثاني: أخوة النسب البعيد:**

فكل الناس مؤمنهم وكافرهم، أخوة في النسب

العالى، فالكلمة من أب واحد وأم واحدة، قال تعالى: «وَتَأْتِيَكُمُ الْيَتَامَىٰ وَرَبُّكُمُ الرَّحْمَنُ فَخَلِّفْ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكُمْ ذِيئًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ إِنَّهَ كَانَ عَلِيمًا ذَكِيًّا» [النساء: ١].

**الثالث: أخوة النسب القريب: وهم:**

١- بنو الأعيان: وهم الأخوة الأشقاء، من أب واحد وأم واحدة.

٢- بنو العلات: وهم الأخوة لأب واحد وأمها شتى.

٣- بنو الأخفاف: وهم الإخوة من أم واحدة وأبائهم شتى.

**معنى الأخوة في الحديث: اختلف العلماء في ذلك على رأيين:**

**الأول:** أنها أخوة الدين: دليله قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»، كما أن الغالب أن الأخوة إذا ذكرت مطلقة في النصوص فإنما يقصد بها أخوة الإيمان.

**الثاني:** أنها الأخوة بمعانيها الثلاث: فتشمل المسلم والكافر، فيكون المقصود من ذلك: أنه يجب لأخيه في النسب العالى البعيد الهداية والاستقامة، وأن تحصل الهداية للكافر كما حصلت الهداية له، فتكون الأخوة هنا أعم من أخوة الدين. ودليل ذلك ما رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَخَّرَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْيَأْتِ مَنِيتَهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِآلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ» [صحيح مسلم] فكلمة (الناس) عامة تشمل ألسلم وغيره.

الراجح: ما ذهب إليه أصحاب الراي الثاني من أنها تشمل المعاني الثلاث؛ فلا يجوز للمسلم أن يعامل غير المسلمين من الذميين والمستأمنين والمعاهدين بغير ما يجب لنفسه، فلا يجوز له أن يقتلهم، ولا أن يزنى بنسائهم، ولا أن يسرق أموالهم، ويجب لهم الهداية إلى الإسلام، ولكن لا يجب لهم ما يقويهم على شركهم وكفرهم من كثرة الأموال والأولاد والعناد، وإن كان يجب

ذلك لنفسه لاختلاف النيتين، فنيته من كثرتهم الاستعانة بهم على طاعة الله، بينما نية الكافر الاستعانة بهم على ما هو عليه من الكفر.

**مقتضى الحديث أن المسلم يجب لأخيه**

**ما يجب لنفسه، وهذا يكون في:**

١- أمور الدنيا: فإن محبة الخير لأخيه كما يجب لنفسه مستحب؛ لأن الإيثار بها مستحب، وليس بواجب، فيحب لأخيه أن يكون ذا مال مثل ما يحب لنفسه، ويحب لأخيه أن يكون ذا وجهة مثل ما له، فهذا مستحب يعني: لو فرط فيه لم يكن كمال الإيمان الواجب منفيًا عنه؛ لأن هذه الأفعال مستحبة.

٢- أمور الدين: أو الأمور التي يرغب فيها الشارع، وأمر بها أمر إيجاب أو أمر استحباب، وكذلك ما نهى عنه الشارع، فيحب لأخيه أن ينتهي عن المحرمات، ويحب لأخيه أن يأتي الواجبات، فإذا لم يحب له هذا، انتفى عنه كمال الإيمان الواجب.

ويتفرع عن هذا مسألة الإيثار، والإيثار منقسم إلى قسمين:

١- إيثار بالقرب: أما الإيثار بالقرب فإنه مكروه؛ لأنه يخالف ما أمرنا به من المسابقة في الخيرات والمسارة في أبواب الطاعات قال تعالى: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» [الحديد: ٢١]، وقوله جل وعلا: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» (ال عمران: ١٣٣)، وقوله سبحانه: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» [البقرة: ١٤٨].

فالمسارة والمسابقة تقتضي أن كل باب من أبواب الخير يسارع إليه المسلم ويسبق أخاه إليه «وَقَدْ ذَكَرَ أَلَمَنَافِقِينَ الْمُتَشَفِّعِينَ» [المطفيين: ٢٦]، ومن ثم يتضح خطأ من يقوم بتقديم غيره للوقوف مكانه في الصف الأول في الصلاة ورجوعه هو إلى الصف التالي، مخالفاً قوله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه» [رواه البخاري] - معنى لاستهموا عليه، أي:

اقترعوا عليه.

ب - إيثار في أمور الدنيا: يعني في الطعام، في اللبس، في المركب، في التصدر في مجلس، أو ما أشبه ذلك؛ فهذا مستحب أن يؤثر أخاه في أمور الدنيا؛ لما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى نسيائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يَضُمُّ أَوْ يَضِيفُ هَذَا؟) فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء. فهيات طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته، فجعل يربانه أنهما ياكلان، فباتا طاولين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما). فانزل الله: «وَيُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخِ نَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» صحيح البخاري.

**الوقف الخامسة:** الفضيلة الدينية والدنيوية: إذا رأى المسلم غيره فاق عليه في فضيلة فتمنيه لها لنفسه له حالتان:

١- إن كانت تلك الفضيلة دينية: كالعلم والعبادة وغيرها استحب له أن يتمنى ذلك كما تمنى النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه منزلة الشهادة. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) [متفق عليه]، فتمني المرء لما أعطى أخوه من الفضائل لا ينافي محبة الخير والنصح له؛ لأنه من باب التنافس في طاعة الله والمسابقة بالخيرات.

٢- إن كانت تلك الفضيلة دنيوية: فلا يشرع له تمنيتها ولا خير في ذلك؛ كما ذم الله عز وجل قوم قارون بقوله: «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا مَا آتَاكُمُ



**فَرُّوا إِلَيْهِ، لَدُوْهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكُمْ** [القصص ٧٩] وقال تعالى: **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** [النساء ٣٢]، فيكره للعبد تمنّي ذلك؛ لأن الدنيا ليست مقصودة لذاتها، وقد تكون وبالا عليه، وقد يحصل مع ذلك نوع من الحسد. قال بعض السلف: (إذا رأيت من ينافسك في الدنيا فنافس في الدين).

كما أن محبة الخير للغير لا تنافي أن يكره المرء أن يفوقه أحد في الجمال، فلا يذم ولا ياثم من كره ذلك. فقد أخرج أحمد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعنده مالك الرهاوي، فادركته وهو يقول: يا رسول الله، قد قسم لي من الجمال ما ترى، فما أحب أحدًا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما، اليس ذلك هو من البغي؟ فقال: (لا، ليس ذلك بالبغي، ولكن البغي من بطر أو قال سغه الحق وغمص الناس) [والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر].

أما إذا فعل ذلك من باب الكبر والفخر على الناس فهذا مذموم قد نهى عنه الشرع، وعليه تحمل آثار السلف، وهو مناف لمحبة الخير للمسلمين.

**الوقف السابعة: استحقاق الجنة لمن اتصف بهذه الفضيلة:**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يُرحَّج عن النار، ويدخل الجنة، فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه» رواه مسلم. وعن يزيد القسري قال: قال لي رسول الله: «أتحب الجنة؟ قلت: نعم، قال: فأحب لأخيك ما تحب لنفسك» [رواه أحمد وحسنه الأرنؤوط]، وذلك أنه لما كان المسلم محسنًا لإخوانه في الحياة الدنيا مشفقًا عليهم حريصًا على نفعهم، جازاه الله بالإحسان في الآخرة، وأدخله دار كرامته.

**الوقف السابعة: أمثلة من سلفنا الصالح:** كان السلف الصالح رحمهم الله يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم، وينصحون لهم، وهذا يدل على تجردهم عن حظوظ أنفسهم، وصدقهم وكمال إخلاصهم، وحرصهم على إعلاء كلمة الله

ونصرة دينه وخوفهم من العلو في الأرض. فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابًا أتني النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه، مه، فقال: «ادنه»، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال - صلى الله عليه وسلم -: «أتحبه لأمك؟» قال: لا، والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال - صلى الله عليه وسلم -: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال - صلى الله عليه وسلم -: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا، والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال - صلى الله عليه وسلم -: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا، والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال - صلى الله عليه وسلم -: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا، والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [والحديث صححه الألباني].

وروى الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر رضي الله عنه: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا وإني أحب لك ما أحب لأنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم».

وقال ابن عباس: «إني لأمر على الآية من كتاب الله فاود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم»، وعن زياد بن الربيع اليمامي عن أبيه قال: «رأيت محمد بن واسع يبيع حمرا بسوق بلخ فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضىته لم أبعه» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العلم وكتاب الورع. وكان عتبة الغلام إذا أراد أن يفطر يقول لبعض إخوانه المطلقين على أعماله أخرج لي ماء أو تمرات أفطر عليها ليكون لك مثل أجري».

نسأل الله أن يوفق المسلمين للعمل بهذا الحديث لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة.

اللهم آمين.

## نظرات في سيرة الرسول



# ضرورات في طريق الدعوة إلى الله تعالى

جمال عبد الرحمن

اعداد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى اله وصحبه ومن تبع هداه. وبعد: فإن أشرف الفعل والقول؛ الدلالة والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وقد ذكر الله سبحانه ذلك في كتابه الجليل فقال: **«وَمِنْ أَحْسَنِ قَوْلٍ قُلْتُ: دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»** [فصلت: ٣٣]، وإن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم كلها مواقف رائعة، وتوضيحات عظيمة من أجل هذا الدين وإعلاء كلمات العزيز الحميد.

## في بيعة العقبة الثانية:

قال ابن أبي إسحاق رحمه الله فيما رواه عن كعب بن مالك رضي الله عنه بعدما ذكر خروج القادمين من المدينة إلى مكة في الموسم، قال كعب: **ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ الشَّيْبِيقِ. قَالَ: فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ لَهَا، وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، أَبُو جَابِرٍ، أَخْبَرَنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مِنْ مَعْنَا مِنَ الْمَشْرِكِينَ مَنْ قَوْمُنَا أَمَرْنَا، فَكَلَمْنَاهُ، وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغِبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ خَطْبًا لِلنَّارِ غَدًا ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ إِيَّاَنَا الْعَقَبَةَ. قَالَ: فَاسْلُمَ، وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ - وَكَانَ نَقِيبًا - يَعْنِي: مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَوْمِ، فَبَيْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رَحَالِنَا حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ، خَرَجْنَا مِنْ رَحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [تاريخ الطبري ٢/ ٣٦١].**

وهنا يظهر أن للأسلوب البارع في الدعوة أثرًا عظيمًا في التأثير على المدعو، الذي يؤدي إلى سرعة استجابته، وهذا الذي يوصي به ربنا سبحانه كما في كتابه العزيز: **«وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا»** [البقرة: ٨٣]، وفي قوله تعالى: **«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَذِّرْهُمْ بِالنُّهْيِ حُسْنًا»** [النحل: ١٢٥]، وقوله جل شأنه: **«وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّصَرْنَا بِكَ وَلَآتَيْنَاكَ مِنْ خَلْفِكَ»** [آل عمران: ١٥٩].

وهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم لما أرادوا دعوة عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر؛



نادوه بكنيته «يا أبا جابر»، ويُعتبر النداء بالكنية نوع تكريم ورفع للقدر عند العرب. ولهذا أثنى الصحابة رضوان الله عليهم على أبي جابر بأنه سيد من ساداتهم وشريف من أشرافهم، والثناء على الرجل الكبير الكريم يقلص الانانية والتعصب من نفسه، ويجعله محباً ومتحفظاً لسمع من أمامه ولو كان خصماً؛ لأن الأسلوب اللين يسلب سخيمة الصدر، ويكسر حدة الطبع، وهذا ما سلّكه مع والد جابر، فكان أن لاقى مع القول اللين، ومنعه كرمه أن يرد دعوة من أثنى عليه دون أن يحقق له ما يريد أو بعض ما يريد.

قال كعب رضي الله عنه: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا (طائر يشبه العصفور) مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نساءنا هما: نسبية بنت كعب (أم عمار)، وأسماء بنت عمرو بن عدي، إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع، فاجتمعنا في الشعب فننظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاعنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر امر ابن أخيه (محمد صلى الله عليه وسلم) ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج؛ إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعنا (أي دافعنا عنه) من قومنا، فهو في عز بين قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه؛ فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده، قال: فقلنا: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» فأخذ البراء بن معمر بيده ثم قال: والله لئمنعنك مما تمنع

منه أُرزنا (أي نساءنا)، فبايعنا يا رسول الله، فحنن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة (السلاح) ورثناها كابراً عن كابر، فاعترض القول - والبراء يتكلم - أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله؛ إن بيننا وبين الرجال (اليهود) حباً (عهوداً) وإنا قاطعوها، فهل عسينا إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سألتم». [تاريخ الطبري ٣٦٣/٢]

وقوله صلى الله عليه وسلم: بل الدم الدم؛ يعني من طلب دمكم باعتراف فقد طلب دمى، وقوله: الهدم الهدم؛ يعني القبر والمنزل، أقبر حيث تقبرون.

ومما سبق نرى أن وجود امرأتين بين الرجال وهما منهم ولهم، يدل في هذا الجو الخطير المترقب على شجاعة هاتين المرأتين وتحملهما الأخطار في سبيل الله نشهدا مشهداً عظيماً، طالما تآقت إليه نفوس المؤمنين الموحدين بسمع كلام من هو أعز عليهم من أنفسهم محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا حدث ودفع للمرأة المسلمة التي ينبغي أن يكون لها دور ومشاركة في نصرة دينها وتبليغ رسالة ربها.

ثم وفي طلب رسولنا صلى الله عليه وسلم الحماية من البشر (الأنصار) وهو يعلم أن الله حاميهم وهو القادر على نصره، قوة لاتباعه، فهو يسير في دعوته في السلم والحرب في حدود ما يستطيعه سائر البشر، وذلك ليسهل لاتباعه بعد ذلك السير على منهجه، والاستفادة من سنته وطريقته، خاصة وقد انقطع الوحي ولم يبق إلا الاتباع وقياس النظائر على أشباهها.

خاصة وأن الدعوة المصلحين يواجهون أهل الباطل والإفساد، وقد يتعرضون للاذى على أيديهم، فهم بحاجة ماسة إلى أن يقوم أهل التقوى من إخوانهم بحمايتهم وكفالتهم وتأييدهم حتى ينجحوا في مهمتهم، وهذا يستوجب أن يكون المسلمون جسداً واحداً غير متفرقين ولا متباغضين ولا متشاحنين، لأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يسلمه، وبذلك تثمر جهود

الإصلاح، وينتشر الخير من ورائهم. وقول البراء بن معمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: تمنعك مما تمنع منه نساءنا، أعلى مستوى يمكن تصوره من النصر لدين الله ولرسول الإسلام؛ لأن الإنسان يبذل في حماية عرضه وأهله ما لا يبذله لنفسه، وصدقوا؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم والناس أجمعين، وقد قاموا بحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم خير حماية، ونصروه بما فيه الكفاية، حتى استحقوا عن جدارة لقب «الأنصار»، ونزل فيهم قول الله تعالى الخالد: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّطُونَ لَهُمْ أَسْوَاقَ الْبَلَدِ الْأَمِينِ فِي حُكْمِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلُسُوا» [الحشر: ٩].

#### الحرية في أجمل معانيها

واعترض أبي الهيثم بن التيهان مقاطعاً البراء بن معمر وسائلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتأكد لنفسه أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن يظهره الله هل سيرجع إلى قومه ويتركه؟ كان في هذا الاعتراض نموذجاً فذاً من الحرية العالية، والشجاعة الأدبية الراقية التي رفع الله تعالى المسلمين إليها بالإسلام؛ حيث عبر أبو الهيثم عما في نفسه بكامل حريته مع أنه رضي الله عنه كان يجزم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يسلك معهم إلا ما فيه خيرهم، فكان السؤال من قبيل «بلى ولكن ليطمئن قلبي».

#### وطن المسلم حيث ينصر دينه

وفي نفس الوقت برز الموقف الجليل من النبي عليه الصلاة والسلام الذي أعلن فيه أن موطن المسلم الحقيقي ليس شرطاً أن يكون الذي ولد فيه وعاش مع آبائه فيه، وإنما موطنه الحقيقي هو الذي يستطيع أن يعبد ربه فيه بحرية، وأن يطبق فيه الإسلام كاملاً، ومن هذا المنطلق كانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام. ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب مكة حباً عظيماً، وسجل هذا الحب بقوله: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك»، [رواه الترمذي ٣٩٢٦ وصححه

الالباني].

ولكن حبه صلى الله عليه وسلم لها لا يعني البقاء فيها والطغيان بحكمها، ويحول بينه وبين حرية الدعوة وتطبيق الإسلام كاملاً، ولذلك سعى في وقت مبكر في عرض نفسه على القبائل؛ غله يجد قبيلة تأخذه معها وتنصره حتى يبلغ رسالة ربه ويطبق شريعته، ولهذا كان يسعى بين القبائل مناشداً، كما قال جابر بن عبد الله: «إن رسول الله لبث عشر سنين يدعو الحاج في منازلهم في الموسم وبمحنة وبمكافأة، وبمنازلهم بمنى يقول: «من يؤويني، من ينصرني حتى أتبع رسالات ربي وله الجنة»، فلا يجد أحداً ينصره ويؤويه، حتى إن الرجل يرحل من مضر، أو من اليمن، إلى ذي رجمه، فيأتيه قومه، فيقولون: أخذت غلاماً قریش لا تقتك، ويمشي بين رجالهم يدعوهم إلى الله عز وجل يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله عز وجل له من يثرب، فيأتيه الرجل فيؤمن به، فيقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله، فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور يثرب إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام». [مسند أحمد ٢٣/٢٢، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن].

وهذا يوجب على الدعاة الذين يدعون إلى الله على بصيرة خلف هذا الإمام القائد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يتحركوا بين الناس بدعوتهم، وأن يتعرفوا على الناس ويعرفوا الناس بدعوتهم، ويرى الناس فهم أخلاق نبيهم، وصبره وتحمله من أجل الدعوة، لا أن يجلس الدعاة في المساجد فقط يعيدون ويراجعون قواعد الخلاف، ونقد المخالفين، ما يجعل الناس تجهلهم، وربما لم يروه إلا فيما ينفر عن دعوة الإسلام النقية وسلوك أهله القويم.

#### أهمية النقاء

ولما تمت البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة أكدها باختيار مجموعة من هؤلاء المبايعين يكونون قادة لقومهم، يتابعونهم ويتفقدون أحوالهم وما يعترضهم من أسئلة أو شبهات، ليستمروا في العمل بما بايعوا عليه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للمبايعين: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم



اثنى عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس». [تاريخ الطبري ٢/ ٣٦٣]

وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم هذه المهمة قدراً كبيراً من العناية حينما شبهه النقيب بحواري عيسى عليه السلام فقال: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى، وأنا كفيل على قومي» قالوا: نعم. [تاريخ الطبري ٢/ ٣٦٣].

وبهذا أشعرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم حلقة في تلك السلسلة الذهبية التي كون حلقاتها أنبياء الله ورسله، بل زاد النبي الأمر أهمية حينما اعتبر نفسه كفيلًا على قومه كما هم كفلاء على قومهم، وفي ذلك رفع لمعنويات هؤلاء النقيب الذين شعروا أنهم شركاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في أداء هذه الأمانة وحملها وتبليغها والحفاظ عليها وعلى أهلها، ثم يتضح من أمر تحديد النقيب على أقوامهم تحديد المسؤولية والمسئولين، لأن بقاء أمر المسئولين ساجداً وعائماً وشائعاً بين الجميع يؤدي إلى انفراط العقد، بسبب الشعور العام لدى الجميع بأنه مفرغ من المسؤولية وما ينتج عنه من شيوع التواكل بينهم، بحيث يعتمد كل واحد منهم على أن الآخرين قاموا بما هو مطلوب، وفي الحقيقة أن الجميع لم يقوموا بشيء. هذه النتيجة السلبية تختفي تماماً عند تحديد النقيب وتوزيع المسؤوليات في أفراد معدودين يسهل بعد ذلك حصر الاستيفاء منهم وقد شعر كل واحد منهم بمسئوليته.

#### تجرد الصحابة لإرادة الآخرة:

الصحابة رضوان الله عليهم تجردوا لإرادة الآخرة، ولم يعتبروا الدنيا إلا مجرد عرض يوصل إلى الآخرة، وهذا كان سر نجاحهم وإنجازهم في الدنيا وحيازتهم الانتصارات الباهرة. انظر إليهم في هذا النص وهم يضحون بكل غال ونفيس مستشرفين في ذلك ما عند الله العلي الأعلى.

قال ابن إسحاق: وَخَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا اجْتَمَعُوا لِبَيْعَةِ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَضْلَةَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، هَلْ تَذَرُونَ عَلَيَّ مَا تُبَايِعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّكُمْ تُبَايِعُونَهُ عَلَيَّ خِزْبِ الْأَخْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا نَهَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ مُصِيبَةً، وَأَشْرَافَكُمْ قَتَلَ أَسْلَمْتُمْوهُ، فَمَنْ الْآنَ، فَهُوَ وَاللَّهِ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ فَعَلْتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ، عَلَيَّ نَهْكَ [نقص] الْأَمْوَالِ، وَقَتْلُ الْأَشْرَافِ، فَخَذُّوهُ، فَهُوَ وَاللَّهِ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ نَحْنُ وَفِينَا؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ». قَالُوا: انْشَطِ بِذِكِّكَ. فَبَسَطَ يَدَهُ، فَبَايَعُوهُ. [المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٣/ ٢٧].

ومبايعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم على قتال الأحمر والأسود وإن قتل أشرافيهم في ذلك ونهبت أموالهم دليل على قوة الإيمان والتجرد من الدنيا وطلب ما عند الله في الآخرة وهي الجنة، وهذا وعي الصحابة بما يتطلبه هذا الدين وهم رضي الله عنهم مع حداثة عهدهم بالإسلام يخططون لما يتوقعونه مستقبلاً، بينما تجد كثيراً من المسلمين هدامهم الله - لا يفكرون أبداً في جهاد أعداء الله، ولا يحسبون حساباً لإمكانية غزو الأعداء بلادهم، والسبب في ذلك أنهم ورثوا الإسلام بفهم ناقص قاصر فظلوا بقية حياتهم على هذا القصور في الفهم والوعي، وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ». [صحيح مسلم ٣/ ١٥١٧].

#### الاتباع والتزام العق:

ثم إن القوم بعد بيعتهم وقضاء مناسكهم عادوا إلى المدينة، وإن كان حدث قبل عودة بعضهم حوادث هي من البلاء الذي كتبه الله تعالى على أهل الإيمان.

ونبين هذا في العدد القادم إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



## قصة جبل قاف (ق)

الحلقة  
(١٥٦)

علي حشيش

اعداد



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث الحديثة للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت، وانتشرت في كتب التفسير، خاصة وأن هذه القصة جاءت في تفسير الآية الأولى من سورة (ق) في قول الله تعالى: «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» [ق: ١]، وجاء التفسير بالماثور منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا أمر خطير؛ لأنه لم يكن متعلقاً ببيان لغة أو شرح غريب، ولكنه متعلق بخلق الأرض والجبال والبحار، وهي من الأمور التي لا مجال للاجتهاد فيها، حيث قال الله عز وجل: «مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا» [الكهف: ٥١]، وإلى القارئ الكريم التحريج والتحقيق لهذه القصة:

#### أولاً: متن القصة:

رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» [ق: ١] قَالَ: أَنْبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْيَاقُوتَةِ جِبَالاً، فَحَاطَ بِالْأَرْضِ السَّبْعَ عَلَى مِثْلِ خَلْقِ الْيَاقُوتَةِ فِي حُسْنِهَا، وَخَضَرَتِهَا، وَصَفَانِهَا، فَصَارَتِ الْأَرْضُ السَّبْعَ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ كَالْأَصْبَعِ فِي الْخَاتَمِ، وَارْتَفَعَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَوْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ إِلَّا ثَمَانُونَ فَرَسَخًا وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ لِلرَّكَّابِ الْمُسْرِعِ، ثُمَّ أَنْبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْجِبَالِ الَّتِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ بَرِّهَا وَبَحْرِهَا مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ، فَهِيَ عُرُوقُ ذَلِكَ الْجَبَلِ مُتَشَعِّبَةٌ فِي الْأَرْضِ السَّبْعَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالْجِبَالِ أَوْنَاذًا» [النبا: ٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَجَعَلْنَاهَا رُؤُوسًا» [المرسلات: ٢٧]، فَالْأَرْضُ السَّبْعُ الثَّابِتَاتُ الْأَصُولُ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَالشَّامَخَاتُ الْعَالِيَاتُ الْغُرُوعُ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ، قَالَ: وَلِذَلِكَ الْجَبَلِ رَأْسُ كِرَاسِ الرَّجُلِ، وَوَجْهُ كُوجَةِ الرَّجُلِ، وَقَلْبُ عَلَى قُلُوبِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْمَعْرِفَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَخَشْيَةِهِ وَالطَّاعَةِ لَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» [ق: ١]، فَ«ق» ذَلِكَ الْجَبَلُ وَهُوَ اسْمُهُ... اهـ. ثم أخذ بعد ذلك يصف هذا الجبل جبل «ق» في أكثر من ثلاثين سطراً.



أخرج الخبر الذي جاءت به هذه القصة الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن خيَّان المعروف بابي الشيخ الأصبهاني (٢٧٤-٣٦٩هـ) في كتابه «العظمة» ج (٩٩٠) قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن بن عبد الله الأملي، حدثنا محمد بن الفضل الطبري، عن خلف بن ميمون، حدثنا عمر بن صُبَّح، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: «ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ» [ق: ١]، أنبت الله عز وجل من الباقوتة جبلاً... القصة.

## ثالثاً: التحقيق

هذا الخبر موضوع وهو الكذب المخلوق المصنوع، وعلته عمر بن صُبَّح: ١- قال الإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم البستي المتوفى سنة (٣٥٤هـ) في كتابه «المجروحين» (٨٨/٢): «عمر بن صُبَّح عن قتادة، ومقاتل بن حيان، روى عنه العرافيون كان ممن يضع الحديث على الثقات، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب لأهل الصناعة فقط». اهـ. ٢- قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨هـ) في كتابه «الميزان» (٦١٤٧/٢٠٦/٣): «عمد بن صبيح الخراساني، أبو نعيم، عن قتادة ويزيد الرقاشي وعنه عيسى بن موسى غنجان، وجماعة من المجاهيل ليس بثقة ولا مأمون، قال الأزدي: كذاب، وقال الدارقطني وغيره: متروك». اهـ. ونقل قول الإمام ابن حبان: «كان ممن يضع الحديث، وأقره».

قلت: من هذا التحقيق يتبين أن الخبر الذي جاءت به القصة موضوع، والقصة واهية.

## رابعاً: طريق آخر لقصة جبل ق

قال أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة (٨١٧هـ) في كتابه «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» ص (٢١٤) أخبرنا عبد الله بن المأمور الهروي، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا أبو عبيد الله محمود بن محمد الرازي، قال: أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي قال: أخبرنا علي بن إسحاق السمرقندي، عن محمد

بن مروان عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس قال في تفسير قوله تعالى: «ق» يقول هو جبل أخضر محدق بالدنيا، وخضرة السماء منه، أقسم الله به «والقرآن الكريم» وأقسم بالقرآن الكريم». اهـ.

## تحقيق هذا الطريق

قلت: وهذا الخبر الذي جاء فيه جبل ق خبر لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعله هذا الخبر محمد بن السائب الكلبي.

١- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٥٧٤/٥٥٦/٣) محمد بن السائب الكلبي أبو النصر الكوفي المفسر النسابة الإخباري، قال الإمام الجرجاني وغيره: «كذاب». اهـ.

٢- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٨٣/١٠١/١): محمد بن السائب أبو النصر الكلبي تركه يحيى بن سعيد الحراني، وابن مهدي، وقال لنا علي: حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال: قال لي الكلبي، قال لي أبو صالح: كل شيء حدثك فهو كذب، وروى محمد بن إسحاق عن أبي النصر وهو الكلبي. اهـ.

٣- وأخرج ابن عدي في «الكامل» (١١٤/٦) (١٦٢٦/٥) قال: سمعت محمد بن سعد الحراني يقول: «سمعت عبد الحميد بن هشام يقول: سمعت عبد الجبار بن محمد الخطابي يقول: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: قال الكلبي: «كل شيء أحدث عن أبي صالح فهو كذب». اهـ.

وقال ابن عدي سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: محمد بن السائب الكلبي كذاب ساقط.

٤- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥١٤): محمد بن السائب أبو النصر الكلبي: متروك الحديث، كوفي». اهـ.

٥- وأورده الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٥٢/٢) قال: محمد بن السائب الكلبي كنيته أبو النصر من أهل الكوفة، ثم أخرج بسنده عن أحمد بن هارون يقول: سألت أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبي فقال: كذب، قلت: يحل النظر فيه؟ قال: لا.

ثم قال الإمام ابن حبان: الكلبي هذا مذهبه في الدين وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه.

يروى عن أبي صالح في «التفسير» عن ابن عباس، وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع منه شيئاً، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به. اهـ.

قلت: فهذا الطريق كما بينا فيه طعن في الراوي وهو محمد بن السائب الكلبي الكذاب، وفيه انقطاع حيث إن أبا صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع منه كما بينا آنفاً، وهذا الضعف الشديد في هذا الطريق لا يزيد الطريق الأول إلا وهذا على وهن، ويصبح هذا الطريق ساقطاً بهذا الكذب الساقط كما بينه ابن عدي آنفاً.

قلت: وبهذا يكون الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما بريئاً من هذه القصة المنسوبة إليه في «تفسير قوله عز وجل: «ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ» قصة جبل ق.

## خامساً: بيان الحافظ ابن كثير ببطلان قصة جبل ق

قال الإمام الحافظ ابن كثير في صدر تفسيره لسورة ق كما في «تفسيره» (٢٢٢/٤): «وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: «ق» جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف، وكان هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندني أن هذا وامثاله واشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها، وانتمتها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وما بالعهد من قدم، فكيف بامة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمر، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، فيما قد يجوز العقل، فاما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه فليس من

هذا القبيل، والله أعلم.

وقد حذر كثير من السلف من المفسرين، وكذلك طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن الكريم، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، ولله الحمد والمنة، حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي -رحمة الله عليه- أورد هنا أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «حدثنا أبي قال حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له قاف، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عُد سبع أرضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل وسبع سموات قال وذلك قوله تعالى: «وَالْبَحْرَ مُمَدَّجًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ» [لقمان: ٢٧]، فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع». اهـ.

قلت: لذلك قبل أن يذكر الحافظ ابن كثير هذا الأثر قدّم له بقوله: حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي -رحمة الله عليه- أورد هاهنا أثراً غريباً لا يصح سنده. اهـ. قلت: وعله هذا الأثر، والتي جعلته غريباً لا يصح سنده، مع ما فيه من علة الانقطاع هو: ليث بن أبي سليم:

١- ذكره ابن حبان في «المجروحين» (٢٣١/١) قال: ليث بن أبي سليم بن زعيم الليثي أصله من أبناء فارس، واسم أبي سليم أنس كان مولده بالكوفة، وكان معلماً بها، يروي عن مجاهد وطاوس، روى عنه أهل الكوفة وكان من الغباء، ولكن اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدث به، فكان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، ويأتي عن الثقات بما ليس من أحاديثهم، كل ذلك كان منه في اختلاطه تركه يحيى القطان، وابن مهدي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين،



ثم أخرج بسنده عن جعفر بن إبان الحافظ قال: سألت أحمد بن حنبل عن ليث بن أبي سليم فقال: ضعيف الحديث جداً كثير الخطأ.

٢- وذكره الذهبي في «الميزان» (٣/٤٢٠/٦٩٩٧) قال: الليث بن أبي سليم روى له مسلم مقروناً. قلت: وقول الإمام الذهبي: «مقروناً» لا يعرف أهميته إلا أهل هذه الصنعة، وهذا معناه أنه روى له مسلم استشهاده ولم يرو له احتجاجاً؛ فهو لا يُحتج به لضعفه.

ولسبب الجهل بهذه القاعدة كم زلت أقدام وضلت أفهام! حيث إنه بمجرد رؤية اسم الراوي في صحيح مسلم يقول: صحيح على شرط مسلم، أو يقول: صحيح؛ رجاله رجال الصحيح، وهو بعيد كل البعد لأنه لم يعرف الطريقة التي روى بها مسلم للراوي في صحيحه.

وهذا مثال بين في الراوي ليث بن أبي سليم الذي ترك أئمة الجرح والتعديل حديثه لضعفه الشديد وكثرة خطئه كما بينا آنفاً.

٣- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٠٩/٥٦٧٦): «الليث بن أبي سليم بن زعيم اختلط جداً ولم يتميز حديثه، فترك». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن قصة جبل قاف من هذا الطريق الثالث الذي أخرجه الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره، وبين الإمام الحافظ ابن كثير أن هذا الأثر غريب ولا يصح سنده، فهو أيضاً طريق تالف لا يزيد القصة إلا وهنا على وهن.

قلت: ولقد أخرج هذا الخبر الذي جاءت به قصة جبل قاف الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «تفسيره» المسمى «تفسيره القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين» (١٠/٣٣٠٧) ح (١٨٦٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما في صدر تفسيره سورة ق.

قلت: والقاعدة عند علماء الصناعة «من أسند فقد أحال، وأصحاب الصناعة الحديثة لم يكتفوا بذكر المتن مسنداً فينشطون ليبينوا ما فيه من قبول أو رد.

كما فعل الحافظ ابن كثير عندما نقل عن الإمام الحافظ ابن أبي حاتم هذا الأثر الذي جاءت به

قصة جبل قاف؛ حيث قال: «حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه الله عليه أورد هنا أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم ذكره كما بينا آنفاً».

سأشاهد: براءة ابن عباس رضي الله عنهما

من مثل هذه الغرافات والإسرائيليات

مما ذكرناه آنفاً يتبين براءة الإمام البحر ابن عباس من هذه القصة الواهية قصة جبل قاف التي تفسر قول الله تعالى: «وَالْقُرْآنُ الْكَافِرُ» [ق: ١]، كما بينا براءته أيضاً من قصة الحوت المسمى بهموت والذي يحمل الأرض على ظهره؛ حيث جعلوه تفسيراً لقول الله تعالى: «ت وَالْقُرْآنُ وَمَا يَنْطُرُونَ» [القلم: ١] هو الحوت، وبيننا أن القصة نسبت كذباً إلى الإمام البحر ابن عباس، وذلك تحت هذه السلسلة «تحذير الداعية» (١٥٤) في مجلة التوحيد حفظها الله، وقمنا بالرد على افتراءات المستشرق اليهودي جولد زيهير الذي يتهم الإمام ابن عباس رضي الله عنهما بالأخذ عن أهل الكتاب في بحث علمي دقيق في مائة وسبعين سطراً بينا فيه جهل هذا المستشرق المركب؛ حيث إنه يجهل هو وأمثاله السنة ويجهل أنه جاهل، وليرجع هو وأمثاله إلى صحيح الإمام البخاري فقد بوب الإمام البخاري في «صحيحه» باباً في كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» (٢٥) باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسالوا أهل الكتاب عن شيء» (ح٧٣٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كيف تسالون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرأونه محضاً لم يُشَبَّ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بذلوا كتاب الله وغيره، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسالتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسالكم عن الذي أنزل عليكم.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



## المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

الحلقة الحادية عشرة

مجانبة الدارقطني والأصبهاني والصابوني والبغوي وابن كثير ضمن مئات ممن ذكرهم صاحب (جمع الجيوش والداكر على ابن عساكر) لما كان عليه متأخري الأشاعرة



أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي  
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

ففي سابقة جديرة بالإشارة وخيرية بالاعتبار، ذكر ابن المنذر يوسف بن حسن بن عبد الهادي (ت ٩٠٩) في كتابه (جمع الجيوش والداكر على ابن عساكر) ما يزيد على أربعمئة عالم بدءاً من عصر الأشعري وحتى زمنه ما بين محدث وفقه وعابد وإمام، كلهم قد جانبوا ما كان عليه الأشاعرة من تاويلات لا مستند لها من كتاب ولا من سنة ولا إجماع، بل وثبت عن أكثرهم ذم ما كان عليه أولئك الأشاعرة.. قال ابن المنذر: «ولو ذهبنا نستقصي ونتتبع كل من جانبهم من يومهم وإلى الآن لزدادوا على عشرة آلاف نفس». [ص ٢٨١].

والعجب كل العجب أن تترك معتقدات كل هؤلاء الذين أربى عددهم عن العشرة آلاف عالم حتى زمن ابن المنذر فقط، ويتمسك بما هو دونها من معتقدات خرجت في مجموعها عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وخير القرون من بعده من صحابته وتابعيههم وتابعي تابعيهم.. ويجرنا الحديث عما بدأنه هنا، إلى التركيز على من شكك البعض في أمر مجانبيته لما كان عليه أشاعرة زمانهم، ونذكر من هؤلاء الأعلام على سبيل المثال:

١- الإمام الحافظ الدارقطني (ت ٣٨٥): وهو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد المقرئ المحدث البغدادي إمام الجهابذة.. فقد ضمه بعض المعاصرين إلى ركب الأشاعرة استكثاراً للاتباع وتشبعاً بما لم يعطوا، بينا ذكر المحقق ابن المنذر في كتابه (جمع الجيوش والداكر) أنه كان ممن جانب الأشاعرة، حيث قال ص ٢٠٨: «ومنيهم: الإمام أبو الحسن الدارقطني، كان مجانبا لهم»، قال: «وله كلام في ذمهم».

ومما هو معلوم، أن الدارقطني في إثبات الصفات ثلاثة كتب هي: (الصفات) و(حديث النزول) و(الرؤية)، وهي في جملتها تعد عمدة في إثبات الصفات والتدليل عليها.. فكتابه (الصفات) ألفه في إثبات صفات الله تعالى التي كان يتاولها المعطلة من الجهمية والمعتزلة والشيعة والكلابية والأشعرية، فعقد باباً لإثبات القدم لله عز وجل، وباباً لإثبات الابدان، وباباً لإثبات الضحك، وباباً لإثبات الأصابع، وباباً فيما جاء في الكرسي، وباباً فيما جاء في صورة الرحمن، وباباً فيما جاء



في خليات الرب عز وجل، وباباً فيما جاء في يمين الله عز وجل، وباباً فيما جاء في كف الرحمن.. ثم اعقب هذه الأبواب بباب في بيان منهج السلف في هذه الصفات، وهو: (إمرارها على ظاهرها، وعدم التعرض لها بتأويل ولا تشبيه)، ونقل في ذلك كثيراً من نصوص السلف [وقد قام بتحقيقه د. الفقيهي، ونشرته دار إحياء السنة بمصر سنة ١٤٠٣هـ].

وأما كتاب (أحاديث النزول) فقد ركز فيه على صفة النزول لله تعالى، واثبت أحاديثها وأنها على حقيقتها من غير تشبيه ولا تحريف ولا تأويل، وأنه نزول يليق بجلاله فليس نزول ملك ولا نزول أمر ونحو ذلك مما يتأوله الأشاعرة وجميع المعتزلة.. وكذا فعل في كتابه (الرؤية)، حيث قرر فيه معتقد السلف في أن الله تعالى يراه المؤمنون في العرصات وبعد دخول الجنة، وجمع فيها الأحاديث وكلام الصحابة والتابعين والأئمة في إثبات ذلك.

وكان الإمام الذهبي قد أشاد في العلو ص ١٧١ بالدارقطني وبكتبه وجهوده ومذهبه، قائلاً: «كان العلامة الحافظ أبو الحسن علي بن عمر نادرة العصر وفرد الجهابذة، ختم به هذا الشأن، فمما صنف: (كتاب الرؤية)، و(كتاب الصفات)، وكان إليه المنتهى في السنة ومذاهب السلف.. كما نقل عنه في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٥٧ قوله: «ما شيء أبغض إلي من علم الكلام.. قال الذهبي معلقاً: «لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدل ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً، وقد سمع هذا القول منه أبو عبد الرحمن السلمي»..»

٢- الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ): صاحب (حلية الأولياء).. كان - على ما ذكر الذهبي في العلو ص ١٧٦ - حافظ العجم في زمانه بلا نزاع، جمع بين علة الرواية وتحقيق الدراية.. ومع ذا عده البعض من الأشاعرة، اتباعاً لابن عساكر، الأمر الذي حدا بابن الميزد في (جمع الدساكر) ص ١٨٦ لأن يستترك على هذا الأخير منتقداً إلحاقه بالأشاعرة وقائلاً: «ثم ذكر فيهم أبا نعيم، وليس بمسلم له فيه، وهو اختلاق عليه».

ونيل على أنه اختلاق، قول الأصبهاني في كتابه (محجة الواثقين ومدرجة الوامقين) - وقد نقله عنه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥/ ٦٠-: «واجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه، مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية: إنه بكل مكان.. له العرش المستوي عليه، والكرسي الذي وسع السماوات والأرض، وهو قوله: (وسع كرسيه السماوات والأرض..) (البقرة: ٢٥٥).. وأنه تعالى يجيء يوم

القيامة لفصل القضاء بين عباد، فيغفر لمن يشاء من مذنبين الموحدين ويعذب من يشاء»..

كما يدل على أنه اختلاق ما نقله عنه الحافظ الذهبي في العلو ص ١٧٦، قال: «قال الحافظ الكبير أبو نعيم بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني في كتاب (الاعتقاد) له: (طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه: أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة، لا يزول ولا يحول، لم يزل عالماً بعلم، بصيراً ببصر، سميعاً بسمع، متكلماً بكلام، ثم أحدث الأشياء من غير شيء، وأن القرآن كلام الله وكذلك سائر كتبه المنزل، كلامه غير مخلوق، وأن القرآن في جميع الجهات: مقروءاً ومتلواً ومحفوظاً ومسموعاً ومكتوباً وملفوظاً كلام الله حقيقة لا حكاية ولا ترجمة.. وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه، يريد به خلق كلام الله، فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهمي عندهم كافر».. إلى أن قال:

«وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه يقولون بها، ويثبتونها من غير تكيف ولا تمثيل، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائون منه، لا يحل بهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه».. وعلق الذهبي يقول: «فقد نقل هذا الإمام، الإجماع على هذا القول والله الحمد».

ويدل على كونه اختلاقاً أيضاً، ما نقله الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ١١٠ من قوله في عقيدته: «(وأن الله سميع بصير عليم خبير، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء فيقول: هل من داع فاستجب له؟ هل من مستغفر فاغفر له؟ هل من تائب فاتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر، ونزول الرب تعالى إلى سماء الدنيا بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تاول فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة العارفين على هذا)».

ثم قال: (وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فالاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه سبحانه بائن من خلقه، وخلقه بائون منه بلا حلول ولا مازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة، لأنه البائن الفرد من الخلق، والواحد الغني عن الخلق).. وقال أيضاً: (طريقنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة)، وذكر اعتقادهم، ثم قال: (ومما اعتقدوه أن الله في سمائه دون أرضه)، وساق بقية»..

فكيف يُتقول على أبي نعيم - وهذا كلامه في معتقده الذي هو معتقد السلف - بما لم يقله من تأويل وعدم إثبات، وإنى لهم أن يُركبونه ركب الأشاعرة استكثاراً للتأبع، وما هو منهم في قليل ولا كثير ولا هم منه، وليس القائل من دونهم بإثبات جميع الصفات لله تعالى على حقيقتها، وبلا تفريق بين صفة وأخرى، وأن من تاول شيئاً منها فهو المبتدع الضال، وهلا قالوا بما قال به بدلاً من أن يغالطوا أنفسهم ويضلوا الأمة بما ادعوه عليه؟.

٣- شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني (ت ٤٤٩هـ): وهو الإمام إسماعيل بن عبد الرحمن، ذكره ابن الميزد ضمن من جانبوا الأشاعرة في تأويلاتهم، فقال في كتابه (جمع الدساكر) ص ٢١٩: «ومنهم أبو عثمان الصابوني شيخ الإسلام، كان إماماً مجانباً لهم.. وكان ابن عساكر قد ادعى عليه - وتبعه في ذلك بعض المعاصرين - أنه كان من متأخري الأشاعرة، وجعل ابن عساكر يستدل على ذلك في كتابه (تبيين كذب المفتري) ص ٢٨٩ بحكاية فهمها عنه على سبيل الخطأ، قال: «سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد البوشنجي الفقيه الزاهد، يحكي عن بعض شيوخه: أن الإمام الصابوني ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا ويبيده كتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري، ويظهر الإعجاب به، ويقول: (ما الذي يُنكر على هذا الكتاب شرح مذهب؟)»، قال ابن عساكر معلقاً: «فهذا قول الإمام أبي عثمان وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان».

والحق أن الاستدلال بمثل هذه الحكاية على اشعرية الصابوني خطأ كبير، لأمور:

أولها: أن هذه الحكاية إن صحت فإنها غير مستغربة؛ لأن كتاب (الإبانة) الذي ألفه الأشعري في آخر حياته واعترف الصابوني بنسبته إليه، قد مشى فيه على مذهب أحمد وطريقة السلف، ورجع فيه عما كان عليه من طريقة ابن كلاب، على ما صرح بذلك الأشعري نفسه في ذات الكتاب، ونص عليه ابن درباس في (الذب عن أبي الحسن الأشعري)، قال في ص ١٠٧: «اعلموا معشر الإخوان.. بأن كتاب (الإبانة) الذي ألفه الإمام أبو الحسن الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده.. وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها وتبرا إلى الله منها».. والكلام في ذلك كثير وينظر في تفاصيله (الأشاعرة في ميزان أهل السنة) للقرافي وكتابنا (صحيح معتقد أبي الحسن في توحيد الصفات).

ثانيها: أن الإمام الصابوني قد كتب في بيان المعتقد كتاباً عظيماً اسماء (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) - وهو مطبوع ومشهور - حكى فيه معتقدهم في الصفات، ومما جاء فيه قوله ص ٣٦- ٣٩: «ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده، ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليمين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة الجهمية أهلهم الله، ولا يكيفون بها بكيف أو يشبهونها بما يبيد المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله.. وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح، من السمع والبصر والعين والوجه، والعلم والقوة والقدرة، والعزة والعظمة والإرادة والمشية، والقول والكلام، والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكيف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر، ويجزونه على الظاهر».

ومما قاله في الاستواء والعلو ص ٤٤: «ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله تعالى فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه.. وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا في أن الله على عرشه، وعرشه فوق سمواته، وساق في ذلك كلام أهل العلم.. فهل بعد هذا يصح نسبة الإمام الصابوني للأشعرية؟».

٤- الإمام البغوي (ت ٥١٦هـ): هو محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود، ادعى عليه بعض المعاصرين كونه اشعرياً، بينما الأمر في الحقيقة على خلاف ذلك، فقد ذكره ابن الميزد ضمن من كان مجانباً للأشاعرة فقال في كتابه (جمع الدساكر) ص ٢٢٧: «ومنهم الإمام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي، كان مجانباً لهم.. ويشهد بذلك ما سطره البغوي نفسه في تفسيره المسمى: (معالم التنزيل)، وكتاب (شرح السنة)، حيث أقر فيهما معتقد أهل السنة والجماعة وعقد في الأخير منهما فصلاً للرد على الجهمية الذين يتأولون الصفات ومما قال فيه ١/ ١٦٣ وما بعدها بعد أن ساق أحاديث الأصابع:

«والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله



عن وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات الله تعالى كالنفس والوجه واليدين والعين والرجل والإتيان والمجيء والنزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش والضحك والفرح، ثم قال بعد أن ساق الأدلة عليها: «فهذه ونظائرها، صفات لله تعالى ورد بها السمع، ويجب - على المسلم - الإيمان بها وإمرارها على ظاهرها، معرضاً عن التأويل مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق.. وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة، تلقوها جميعاً بالقبول والتسليم، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكّلوا العلم فيها إلى الله عز وجل» ثم ساق في ذلك آثار السلف.

فانظر كيف كان إثبات البغوي لصفات الله، وكيف أراد بقوله «ووكّلوا العلم فيها إلى الله»: تفويض علم حقائقها وكنهها وكيفياتها دون علم معناها، وإلا لما كان لقوله: «إمرارها على ظاهرها، معنى، فإن الإمرار على الظاهر هو حملها على ما دل عليه لفظها من المعنى المعروف لغة مع نفي التشبيه.

ومما سطره في (معالم التنزيل) قوله - رحمه الله - في تفسير قول الله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله.. البقرة/ ٢١٠): «والأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى، ويعتقد أن الله منزّه عن صفات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة.. وقوله في تفسير (بل يدها مبسوطتان..) (المائدة/ ٦٤): «وبد الله صفة من صفاته كالسمع والبصر والوجه، قال عز وجل: (لما خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلتا يديه يمين)، والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم، قال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: (أمروها كما جاءت بلا كيف).

كما جاء في رده على ترهات المعتزلة قوله في تفسير قول الله تعالى: (ثم استوى على العرش..) (الأعراف/ ٥٤): «أولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل»، ثم ساق في ذلك مقولة مالك وأئمة السلف رحمهم الله.

٥ - الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤): وهو أيضاً أحد من ادّعى عليه من قبل بعض المعاصرين كونه أشعرياً، مستدلين على دعواهم بما ورد في ترجمة ابن القيم في الدرر الكامنة لابن حجر ٦٠/ ١ قال: «ومن نوادره أنه وقع بينه وبين ابن كثير منازعة في تدريس الناس، فقال له ابن كثير: (أنت تكرهني لأنني أشعري)، فقال له ابن

القيم: (لو كان من راسك إلى قدمك شعر، ما صدّقك الناس في قولك أنك أشعري وشيخك ابن تيمية)». وهي قصة لم يذكر ابن حجر من حديثه بها، وعلى القول بصحتها فإن ظاهرها يدل على صحة دعواه، لكون شيخه هو ابن تيمية المعروف بالرد على الأشاعرة وإبطال معتقاداتهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وما كان عليه السلف، بل والذي عظم انتصاره لمذهب السلف حتى اجتمع عليه أشاعرة عصره وسجنوه لأجل إثباتها عدة مرات، فكيف يكون تلميذه مع كل هذا أشعرياً؟.. وإنّ هذا تفسيره وتلك رسالته (الاعتقاد)، قد سطر فيهما معتقده بشكل جلي واضح.

ومما قاله في الأخيرة: «إذا نطق الكتاب العزيز ووردت الأخبار الصحيحة بإثبات السمع والبصر، والعين والوجه، والعلم والقدرة والعظمة والمشيئة والإرادة والقول والكلام، والرضا والسخط، والحب والبغض، والفرح والضحك، وجب اعتقاد حقيقة ذلك من غير تشبيه بشيء من تلك بصفات المربوبين المخلوقين، ووجب الانتهاء إلى ما قاله سبحانه وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير إضافة ولا زيادة عليه، ولا تكييف ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا إزالة لفظ عما تعرفه العرب وتصرفه عليه، والإمسك عما سوى ذلك» (مخطوط نقلًا عن كتاب (علاقة الإثبات لابن نعسان ص ٨٢)، كذا بالإثبات دونما تأويل لأي من صفاته تعالى ولا تفريق فيما بينها.

وفي تفسيره لقول الله تعالى: (ثم استوى على العرش..) (الأعراف/ ٥٤) ما نصه: «لأناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر: كما قال الأئمة، منهم شيخ البخاري نعيم بن حماد الخزاعي قال: (من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه)، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى، فهل بعد هذا البيان من بيان؟ وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.



## وصايا وتنبهات في ختام شهر رمضان

عبد العزيز مصطفى الشامي

اعداد

الحمد لله رب العالمين سبحانه وتعالى له الحمد الحسن والثناء الجميل، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمع رحيل شهر رمضان أحب أن أذكر نفسي وإخواني بشيء من الوصايا والتنبهات، فمن ذلك:

### أولاً، الانتباه للعمر والحذر من الدنيا:

إن عمر الإنسان منا هو كثره الحقيقي ورأس ماله، وإن تضييعه والتفريط في دقائقه وساعاته وأيامه لمن الغبن والخسار الذي يقع فيه كثير من الناس وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: «نَعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصُّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» [البخاري ٦٤١٢].

لذلك فمن الأمور المهمة التي ينبغي أن يقف معها العبد مع رحيل رمضان وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَظَّرَ الصُّبْحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَظَّرَ الْمَسَاءَ وَخَذَ مِنْ صُحَّتِكَ لِمَرْضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. [البخاري ٦٤١٦].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يوصي عبد الله بن عمر وهو من آخر الصحابة موتاً، يوصي شاباً في العشرين من العمر. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله معلقاً على وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر: «هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر: يهيئ جهازه للرحيل، قال تعالى: «تَرَوْنَ أَنَّهَا مَرْكَبٌ الْجَنَّةِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» [غافر: ٣٩]. وكان النبي يقول: «مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها» [رواه أحمد من حديث ابن مسعود ٣٩١/١، والترمذي ٢٣٧٧، وقال: حسن صحيح].

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:



«إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل».

#### ثانياً: الجمع بين الإحسان والخوف

إن من تأمل أحوال الأنبياء والصحابه والصالحين وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، فهم جمعوا بين الإحسان والخوف، ونحن جمعنا بين الإساءة والأمن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد كان هذا منهج السلف رحمهم الله تعالى في العبادة والمعاملة.

قال ابن القيم - رحمه الله - «إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً سلب رؤيته أعماله الحسنة من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية ذنبه؛ فلا يزال نصب عينيه حتى يدخل الجنة؛ فإن ما تقبل من الأعمال رفع من القلب رؤيته، ومن اللسان ذكره. وقال بعض السلف: إن العبد ليعمل الخطيئة فيدخل بها الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الخطيئة، فلا تزال نصب عينيه إذا ذكرها ندم واستقال وتضرع إلى الله، وبادر إلى محوها، وانكسر وذل لربه، وزال عنه عجبه وكبره، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يراها ويؤمن بها ويعتد بها، ويتكبر بها حتى يدخل النار» [طريق الهجرتين ص ٢٧٠].

وقد حفلت مرويات السنة وكتبها بالعديد من المواقف الرائعة التي تبين شيئاً من عظمة هذا الجيل الفريد، ولا عجب فالمرابي الأول والمعلم الأعظم لهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه أنها قالت: قلت يا رسول الله «الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجله» أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا يا بنت أبي بكر، أو لا يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق وهو يخاف أن لا يقبل منه. [أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢٥٧٠٥ وحسنه الألباني].

فهذه أم المؤمنين تظن أن الخائف ذي القلب

الوجل هو إنسان أتى من الموبقات والكبائر ما يسخط الله عليه، ومثله يحق له الخوف، بل يجب، فصَحَّح لها النبي صلى الله عليه وسلم الفهم وارشدها إلى أن المتقين من عباد الله يجمعون مع الإحسان خوف عدم القبول، ولما لا؟ وقد خاف إبراهيم الخليل عليه السلام ورجا وطمع في القبول قال تعالى «وَإِذْ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَرَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْقَلِيمُ» [البقرة: ١٢٧].

وهذا مثل آخر طيب فريد رواه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «أتني عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يوماً بطعامه - وكان صائماً - فقال: قتل مضغيب بن عَمِيرٍ وَكَانَ خَيْرًا مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفِّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ، وَقُتِلَ حَبْرَةٌ أَوْ رَجُلٌ آخَرٌ خَيْرٌ مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفِّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَجَلْتُ لَنَا طَيِّبَاتِنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي» حتى رفع الطعام عندما تذكر إخوة له صالحين سبقوه إلى الله تعالى ولحسن ظنه بهم وازرائه على نفسه فقد فضلهم على نفسه وهو خير منهما بإجماع المسلمين فبعد الرحمن بن عوف من العشرة المبشرين بالجنة، وهو أفضل من حمزة ومصب رضي الله عنهم جميعاً.

وهذا صحابي جليل قد لا يتذكر اسمه منا القليل سابع سبعة في الإسلام، روى الإمام مسلم في صحيحه عن خالد بن عَمِيرٍ الغدوي قال: خطبنا عَتَبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَظِلُونَ مِنْهَا إِلَى ذَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا؛ فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بَحَضَرَتْكُمْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ؛ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يَدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللَّهِ لَتَمْلَأَنَّ أَفْعَابُكُمْ وَلَقَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مَضْرَاعَيْنِ مِنْ مَضَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَطَلِيطٍ مِنَ الرِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرِقُّ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرَحَتْ أَشْدَاقُنَا فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ

بْنِ مَالِكٍ، فَاتَزَرَّتْ بِنَصْفِهَا وَاتَزَرَّرَ سَعْدٌ بِنَصْفِهَا؛ فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِمَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مَضْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةَ قَطٍ إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا فَسَتَحْبِرُونَ وَتَجْرَبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدُنَا. [مسلم ٢٩٦٧].

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مع عبادته ومكانته العلمية كان متواضعاً هاضماً لنفسه، منكراً لذاته، يقول ابن القيم: «كان كثيراً ما يقول: ما لي شيء ولا مني شيء ولا في شيء»، وإن مدحه أحد في وجهه قال: «والله إنني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً».

وقال ابن القيم - رحمه الله - موضحاً علاقة الصالحين مع ربهم: «والمقصود أن العبد يقوى إخلاصه لله وصدق معاملته، حتى لا يحب أن يطلع أحد من الخلق على حاله مع الله ومقامه معه؛ فهو يخفي أحواله غيرةً عليها من أن تشوبها شائبة الاغيار، ويخفي انفاسه خوفاً عليها من الداخلة، وكان بعضهم إذا غلبه البكاء وعجز عن دفعه يقول: لا إله إلا الله ما أمر الزكامة». [مدارج السالكين ٤٢٢/٣].

#### ثالثاً: علامة القبول

إن حاجة العبد لعبادة الله أكيدة وهو لا يستغني عن ربه طرفة عين، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «في القلب فاقة عظيمة وضرورة تامة وحاجة شديدة لا يسدها إلا فوزه بحصول الغنى بحب الله الذي إن حصل للعبد؛ حصل له كل شيء، وإن فاتته؛ فاتته كل شيء فكما أنه سبحانه الغني على الحقيقة، ولا غني سواه، فالغنى به وبحبه هو الغنى في الحقيقة ولا غنى بغيره البتة، فمن لم يستغن به عما سواه تقطعت نفسه حسرات، ومن استغنى به زالت عنه كل حسرة وحضره كل سرور وفرح والله المستعان. [طريق الهجرتين ص ٣٤].

وعليه فإن أبين علامة على القبول هي استمرار العبد على الخير والعمل الصالح بعد رمضان. قال بعضهم: «ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم اتبعها بحسنة بعدها كان

ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم اتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها».

إن مقابلة نعمة إدراك رمضان، والتوفيق لصيامه وقيامه بارتكاب المعاصي بعده لمن فعل من بدل نعمة الله كفراً، فإن كان قد عزم في صيامه على معاودة المعاصي بعد انقضاء الصيام فصيامه من القبول في شكك، إلا أن يجعل بتوبة نصوح. ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها، وأحسن منها الحسنة بعد الحسنة تعقبها؛ وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها؛ فلا ترجع أخي إلى المعصية بعد رمضان، واصبر لله عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان، واصبر لله تعالى يعوضك خيراً، قال الله تعالى: «إِنْ يَسْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوَفِّقْكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَنَسِمْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [الأنفال: ٧٠].

وتلك قاعدة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»، [متفق عليه]، قالت عائشة رضي الله عنها: «وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» [رواه البخاري: ٤٣].

إن استدامة الطاعة والمداومة على الأعمال الصالحة لهما في الحقيقة من عوامل الثبات على دين الله وشرعه، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [الأحقاف: ١٣]. وإن ترك المحرمات والعمل بما يوعظ به المرء من قبل خالقه ومولاه لأمر يحتاج إلى ترويض ومجاهدة من أجل الحصول على العاقبة الحميدة وحسن المغبة.

#### رابعاً: بماذا نختم شهرنا؟

أمر الله عباده أن يختموا أعمالهم العظيمة بالاستغفار والتوبة، فبعد كل صلاة استغفار، عن ثوبان رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». قَالَ الْوَلِيدُ فَقُلْتُ لَلْأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ اسْتَغْفَرَ؟ قَالَ: تَقُولُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ. [مسلم ٥٩١].

والحاج بعد نزوله من عرفة يلزم الاستغفار قال الله تعالى: «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَمَّ النَّكَاسُ



وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [البقرة: ١٩٩]، بل إن الله تبارك وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يختم عمره المبارك بالاستغفار، فقال جل وعلا: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ نَوَّابًا» [النصر: ١-٣]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ [متفق عليه].

كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى الامصار يامرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار والصدقة - صدقة الفطر - فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث؛ ولهذا قال بعض المتقدمين: «إن صدقة الفطر للصائم كسجدة السهو للصلاة».

وقال عمر بن عبد العزيز في كتابه: (قولوا كما قال ابوكم آدم: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الأعراف: ٢٣] وقولوا كما قال نوح عليه السلام: وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ [هود: ٤٧] وقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام: وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ [الشعراء: ٨٣] وقولوا كما قال موسى عليه السلام: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي [القصص: ١٦] وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الأنبياء: ٨٧] [اللطائف: ٣٨٧].

#### خامسا: أعمال ليلة العيد:

لما كانت المغفرة والعق من النار، كل منهما مرتباً على صيام رمضان وقيامه؛ أمر الله سبحانه وتعالى عند إكمال العدة بتكبيره وشكره فقال سبحانه: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [البقرة: ١٨٥] فشكر من انعم على عباده بتوفيقهم للصيام، وإعانتهم عليه، ومغفرته لهم به، وعثقهم من النار؛ أن يذكروه ويشكروه ويتقوه حق تقاته. وقد فسر ابن مسعود تقواه حق تقاته: «بأن يطاع فلا يعصى، ويذكر

فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر» [تفسير ابن أبي حاتم: ٤٦/٢] وهو صحيح موقوف]. والتكبير مشروع من غروب الشمس يوم العيد إلى صلاة العيد، يجهر به الرجال في المساجد والأسواق والبيوت كما كان السلف يفعلون. ومن السنة: أن ياكل قبل الخروج إلى الصلاة في عيد الفطر تمرات وتراً، ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك، يقطعها على وتر؛ لقول انس ابن مالك رضي الله عنه: «كان رسول الله لا يغدو يوم الفطر حتى ياكل تمرات وياكلهن وتراً» [البخاري: ٩٥٣].

ويخرج النساء لصلاة العيد غير متبرجات بزينة ولا متعطرات، يحضرن الصلاة والذكر. ومما يلزم التنبيه عليه أن بعض الناس يهمل أهله وبناته في لباسهن، فيكون فيه مخالفات شرعية، يخرجن يوم العيد يفتن الناس، وسيسال عن إهماله هذا يوم القيامة، فيجب على من استرعاه الله نساء أن يطلع على لباسهن للعيد، فإن كان موافقاً للشرع وإلا منعهن من لبسه؛ حماية لهن من الوقوع في الإثم، وإداء للأمانة التي حطله الله إياها.

ثم إن كثيراً من الناس بمجرد إعلان العيد يخرجون للأسواق، فتضيع ليلة العيد في التجوال في الأسواق مع ما تعج به من منكرات، فلا يسلم روادها من الوقوع في الإثم والمنكر. وما هكذا يشكر الله تعالى في ليلة العيد التي ينبغي أن يكثر فيها من الاستغفار والذكر والتكبير حتى يخدم الشهر بخاتمة حسنة.

#### نداء لمن أساء في رمضان:

يا من أساء في رمضان وفرط وضيع إياك أن تياس فإن رب رمضان هو رب سائر الأيام، ومتى رجعت إليه تائباً نادماً قبلك، ولم يردك، فلا يغرنك الشيطان بأنك أضعت مواسم الخير، واعلم أن ربك واسع المغفرة لمن تاب وأمن وعمل عملاً صالحاً.

اسأل الله العلي القدير أن يتقبلنا بقبول حسن وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يعيد رمضان علينا باليمن والخير والبركات، إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## أمين الأمة:

## أبو عبيدة

## بن الجراح

صلاح نجيب الدق

عداد

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين والمبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أبا عبيدة بن الجراح، هو أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة الذين بشرهم رسول الله بالجنة. وهو أحد أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذين قال مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز قائلا: (لَتَكُنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَنَّاتٍ يَدْخُلُونَ فِيهَا مِنْ أَوَّلِ النَّارِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا قَائِمُونَ) [سورة الحديد: ٢٨] أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (التوبة: ٨٩: ٨٨) من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بشيء من سيرته العطرة، لعلنا نسير على ضوئها فنسعد في الدنيا والآخرة. فاقول وبالله تعالى التوفيق:

#### اسمه ونسبه:

هو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن فهر.

#### كنيته: أبو عبيدة.

أمه: أميمة بنت غنم بن جابر بن غميرة. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣١٢).

#### صفة أبي عبيدة الخلقية:

كان أبو عبيدة بن الجراح رجلاً، نحيفاً، معروق الوجه، خفيف اللحية، طوالاً، اجنأ (منحني الظهر) أرم الثنيتين (سقطت ثنيتاه من أصلهما) وكان يصبغ رأسه ولحيته بالحناء والكتم. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣١٢).

#### إسلام أبي عبيدة بن الجراح:

قال يزيد بن رومان: انطلق عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض عليهم الإسلام، وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا في ساعة واحدة، وذلك قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم



دار الأرقم بن أبي الأرقم. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣١٣، وسير اعلام النبلاء للذهبي ج ١ ص ٨: ٧).

#### هجرة أبي عبيدة:

هاجر أبو عبيدة بن الجراح إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن معاذ. (الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٢٤٤).

#### مرويات أبي عبيدة بن الجراح:

روى أبو عبيدة خمسة عشر حديثاً، وله في صحيح مسلم حديث واحد، وله كذلك حديث واحد في سنن الترمذي. حَدَّثَ عَنْهُ الْعَرِيضُ بْنُ سَارِيَةَ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ، وَأَسْلَمُ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ، وَآخَرُونَ. (سير اعلام النبلاء للذهبي ج ١ ص ٦).

#### جهاد أبي عبيدة بن الجراح:

شهد أبو عبيدة بدرًا واحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان أبو عبيدة أحد الأمراء المسيرين إلى الشام، والذين فتحوا دمشق، ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة فقال خالد: ولي عليكم أمين هذه الأمة، وقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن خالدًا لسيف من سيوف الله». (أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ٢٣، وصفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٣٦٥).

#### أبو عبيدة بن الجراح في غزوة بدر:

كان والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لابنه أبي عبيدة يوم بدر، فكان أبو عبيدة يبتعد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فانزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَّضَهُمْ عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة: ٢٢). (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج ١ ص ١٠١).

#### أبو عبيدة في غزوة أحد:

عن عائشة قالت: قال أبو بكر الصديق: لما كان يوم أحد ورمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه حتى دخلت في اجنتيه حلقتان من المغفر (ما يلبسه المقاتل على راسه)، فاقبلت أسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنسان قد أقبل من قبل المشرق يطير طيراناً، فقلت: اللهم اجعله طاعة حتى توافينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بدرني فقال أسالك بالله يا أبا بكر ألا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر: فتركته فاخذ أبو عبيدة بثنية إحدى حلقتي المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنية أبي عبيدة، ثم اخذ الحلقة الأخرى بثنية الأخرى فسقطت فكان أبو عبيدة في الناس أذرم (أهتم) وكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣١٣).

#### حسن خلق أبي عبيدة:

قال موسى بن عقبة: أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل، وهي على مشارف (بداية) الشام، فخشى عمرو، فبعث يستمد فندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس من المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمر في آخرين فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح مدداً لعمرو بن العاص. فلما قدموا عليه، قال: أنا أميركم. فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين. فقال: إنما أنتم مددي، فلما رأى ذلك أبو عبيدة وكان حسن الخلق متبعاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فقال: تعلم يا عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: إن قدمت على صاحبك فتطاوعا، وإنك إن عصيتني اطعته. (الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٢٤٤).

#### أبو عبيدة أمير غزوة الخيبر:

قال جابر بن عبد الله: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي عبيدة بن الجراح ونحن ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً وزودنا جراباً من تمر فأعطانا منه قبضة قبضة، فلما أنجزناه

أعطانا ثمرة ثمرة، فلما فقدناها وجدنا فقدناها ثم كنا نخبط الخبط بقسينا ونسفه ونشرب عليه من الماء حتى سمينا جيش الخبط ثم أخذنا على الساحل فإذا دابة ميتة مثل الكتيب يُقال لها العنبر فقال أبو عبيدة: ميتة لا تاكلوا ثم قال جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله ونحن مضطرون فاكلنا منه عشرين ليلة أو خمسين ليلة، قال: ولقد جلس ثلاثة عشر رجلاً منا في موضع عينه، وأقام أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه، فوضعه على أجسم بعير، فلما قدما على رسول الله قال: ما حبسكم؟ قال: كنا نبتغي (إبل) قريش، فذكرنا له شأن الدابة فقال: إنما هو رزق رزقكموه الله، أمعكم منه شيء؟ قلنا: نعم. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣١٤).

الخيبر: ضرب الشجرة بالعصا ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط خبط. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٢ ص ١١١).

#### أبو عبيدة يبحث على الجهاد:

قال أسلم، مولى عمر بن الخطاب: بلغ عمر أن أبا عبيدة حصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة، إلا جعل الله بعدها فرجاً، وإنه لا يغلب عسر يسرين (يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (ال عمران: ٢٠٠). قال: فكتب إليه أبو عبيدة: أما بعد، فإن الله يقول: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَسْفَلَ الْكَفَّارِ بَآئِهِ ثُمَّ يَصِجُ فَذَرَتْهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ مُدْمَاجًا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْمُرُورِ) (الحديد: ٢٠)، قال: فخرج عمر بكتابه، فقرأه على المنبر فقال: يا أهل المدينة! إنما يعرض بكم أبو عبيدة، أو بي، ارجبوا في الجهاد. (سير اعلام النبلاء للذهبي ج ١ ص ١٦٠: ١٦١).

#### زهد أبي عبيدة:

أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمئة دينار وقال للرسول: انظر ما يصنع قال فقسمها أبو عبيدة، قال ثم أرسل إلى معاذ بمظله، وقال للرسول مثل ما قال،

فقسمها معاذ إلا شيئاً. قالت امراته: نحتاج إليه فلما أخبر الرسول عمر، قال: الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣١٥: ٣١٦).

#### خوف أبي عبيدة بن الجراح:

قال قتادة: قال أبو عبيدة بن الجراح: ودبت اني كبش فذبحتني اهلي فاكلوا لحمي وحسوا (شربوا) مرقى. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣١٥).

#### مناقب أبي عبيدة بن الجراح:

(١) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ (ابن أبي وقاص) فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ (ابن زيد) فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ. (صحيح سنن الترمذي للالباني حديث ٢٩٤٦). (٢) عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ابْعَثْ لَنَا رَجُلًا آمِنًا. فَقَالَ: لَا بُدَّ لِيَنَّكُمْ رَجُلًا آمِنًا حَقَّ آمِنٍ، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ النَّاسُ، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ. (البخاري حديث: ٤٣٨١، ومسلم حديث: ٢٤٢٠).

(٣) عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. (البخاري حديث: ٤٣٨٢، ومسلم حديث: ٢٤١٩).

(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ، نِعَمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، نِعَمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، نِعَمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ شِمَاسٍ، نِعَمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، نِعَمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ. (صحيح سنن الترمذي للالباني حديث ٢٩٨٤).

(٥) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا سَأَلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْلَفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ. فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو



# فتاوى

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » ويجوز إخراجها قبل ذلك بيوم أو يومين لما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صدقة الفطر من رمضان..)، وقال في آخره (وكانوا يعطون قبل ذلك بيوم أو يومين). فمن أخرها عن وقتها فقد أثم وعليه أن يتوب من تأخيرها، وأن يخرجها للفقراء. [فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى (٢٨٩٦) الجزء التاسع ص ٣٧٣].

## توزيع زكاة الفطر

س: أرسلت زكاة الفطر الخاصة بي إلى أهلي في مصر لكي يخرجوها في البلد، وأنا مقيم في السعودية، فهل هذا العمل صحيح؟

الجواب: لا بأس بذلك وتجزئ إن شاء الله في أصح قولي العلماء، لكن إخراجها في محلك الذي تقيم فيه أفضل وأحوط، وإذا بعثتها لأهلك ليخرجوها على الفقراء في بلدك فلا بأس. [فتاوى الشيخ ابن باز (ج ١٤) ص ١٩٨-٢١٨].

## أهل زكاة الفطر

س: الفقراء الذي يتعاطون

## حكم زكاة الفطر زكاة الفطر لمن لا يملك النصاب

س: إذا كان المسلم الصائم محتاجاً لا يملك نصاب الزكاة، هل يتوجب عليه دفع زكاة الفطر؟

الجواب: صدقة الفطر واجبة على كل مسلم تلزمه مؤنة نفسه إذا فضل عنده عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته: صاع، والأصل في ذلك ما ثبت عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة) متفق عليه واللفظ للبخاري. [فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى (٥٧٣٣) الجزء التاسع ص ٤٦٤].

## وقت إخراج زكاة الفطر

س: هل وقت إخراج زكاة الفطر من بعد صلاة العيد إلى آخر ذلك اليوم؟

الجواب: يبدأ وقت زكاة الفطر من غروب شمس آخر يوم من رمضان، وهو أول ليلة من شهر شوال، وينتهي بصلاة العيد؛ لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما -



عُبَيْدَةُ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا. (مسلم حديث ٢٣٨٥).

(٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَيُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: ثُمَّ عُمَرُ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ فَسَكَتَتْ. (صحيح سنن الترمذي للألباني حديث ٢٨٩٢).

(٧) قال الذهبي: كان أبو عبيدة معدوداً فيمن جمع (حفظ) القرآن العظيم. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ ص ١٥٦).

## منزلة أبي عبيدة عند أبي بكر الصديق

عن ابن عباس أن أبا بكر الصديق قال (للمهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة): قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَيُّهُمَا شِئْتُمْ وَأَخَذَ بِيَدِي وَبَيَدَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ. (مسند أحمد ج ٥ ص ٤٥٣ بسند صحيح).

وقد تولى أبو عبيدة بيت مال المسلمين في خلافة أبي بكر الصديق. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ ص ١٥٥).

## منزلة أبي عبيدة عند عمر بن الخطاب

(١) عَنْ شَرِيحِ بْنِ عُبَيْدٍ وَرَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ وَغَيْرِهِمَا قَالُوا: لَمَّا بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَرَعَ حَدَّثَ أَنَّ بِالشَّامِ وَبَاءً شَدِيدًا قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ شِدَّةَ الْوَبَاءِ فِي الشَّامِ، فَقُلْتُ: إِنْ أَدْرَكَنِي أَجَلِي وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ حَيٌّ اسْتَخْلَفْتَهُ فَإِنْ سَأَلَنِي اللَّهُ لَمْ اسْتَخْلَفْتَهُ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: إِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَمِينًا وَأَمِينِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. فَانْكَرَ الْقَوْمُ ذَلِكَ وَقَالُوا: مَا بَالُ عَلِيٍّ قَرِيشٍ يَغْنُونُ بَنِي فَهْرٍ ثُمَّ قَالَ فَإِنْ أَدْرَكَنِي أَجَلِي وَقَدْ تَوَفَّيْتُ أَبُو عُبَيْدَةَ اسْتَخْلَفْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ لَمْ اسْتَخْلَفْتَهُ؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّهُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْعُلَمَاءِ نَبَذَةً. (مسند أحمد ج ٢٣ ص ٢٦٣ حديث ١٠٨، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات).

(٢) عَنْ أَسْلَمَ، مَوْلَى عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَمَنُّوا فَقَالَ رَجُلٌ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ لِي هَذِهِ الدَّارَ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ تَمَنُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ لَوْلُؤًا وَزَبْرَجْدًا وَجَوْهَرًا، أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَتَصَدَّقَ، ثُمَّ قَالَ تَمَنُّوا، فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ مَمْلُوءَةٌ رَجَالًا مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج ١ ص ١٠٢).

(٣) قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ تَلَقَّاهُ النَّاسُ وَعِظْمَاءُ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَيْنَ أَخِي؟ قَالُوا: مَنْ؟ قَالَ: أَبُو عُبَيْدَةَ. قَالُوا: الْآنَ يَا تَيْك، فَلَمَّا أَتَاهُ نَزَلَ فَاعْتَنَقَهُ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ فَلَمْ يَرِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا سَيْفَهُ وَتَرْسَهُ وَرَحْلَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَا اتَّخَذْتَ مَا اتَّخَذَ أَصْحَابُكَ؟ (أثاث جديد) فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا يَبْلُغُنِي الْمَقِيلُ. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج ١ ص ١٠٢).

## وفاة أبي عبيدة بن الجراح

مات أبو عبيدة بن الجراح في طاعون عمّواس (بالأردن) سنة ثمان مائة هجرية في خلافة عمر بن الخطاب، وكان عمر أبي عبيدة ثمان وخمسين سنة. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣١٧).

لما مات أبو عبيدة بن الجراح، خطب معاذ بن جبل فقال: أيها الناس: إنكم فجعتم برجل والله ما رأيته من عباد الله قط أقل حقدًا، ولا أبر صدرًا ولا أبعد غائلة ولا أشد حياءً للعاقبة، ولا أنصح للامة منه، فترحموا عليه. (الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٢٤٥).

رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ الْجَزَاءِ. وَنَسَّالُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَجْمَعَنَا بِهِ فِي الْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ. وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



الدخان هل يعطون من زكوات الفطر أم لا؟

الجواب: لا يكون صنيعهم مانعاً من إعطائهم من الزكاة؛ لأنهم بذلك لا يخرجون عن ملة الإسلام، وإنما هم مؤمنون بإيمانهم فسقة بما يتعاطونه من المحرمات، يجب على ولي الأمر منعهم مما يتعاطونه وعقوبتهم على ذلك. ونسال الله لنا ولهم الهداية والتوفيق لما يحبه ويرضاه. [اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء].

زكاة المال

زكاة المال تخرج من جنسه

س: هل يجوز إعطاء الزكاة من غير جنسها؟

الجواب: على صاحب المال أن يخرج زكاة المال من جنسه، فيخرج من المال النقدي نقداً، ويخرج من البُر بُراً، ومن الأرز أرزاً، ومن التمر تمرًا وهكذا.

وأما المال المعد للتجارة فتجب فيه الزكاة إذا بلغ نصاباً بنفسه أو بضمه إلى غيره مما يزكى من النقد، أو عروض التجارة وحال عليه الحول، ويخرج مقدار ربع العشر، أي اثنان ونصف في المائة ٢,٥٪ نقداً. [اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء].

حكم صيام الست من شوال

س: هل هناك أفضلية لصيام ست من شوال وهل تصام متفرقة أم متوالية؟

الجواب: نعم، هناك أفضلية لصيام ستة أيام من شهر شوال، كما جاء في حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر» رواه مسلم.

ويجوز أن تكون متفرقة أو متتابعة، لكن التتابع أفضل؛ لما فيه من المبادرة إلى الخير وعدم الوقوع في التسويف الذي قد

يؤدي إلى عدم الصيام. [فتاوى ابن عثيمين].

المسلم يتبع في فطره البلد الذي يقيم فيه

س: رجل رأى هلال رمضان في بلده وبدأ الصوم، ثم سافر إلى بلد آخر ودخل عليه ٢٨ رمضان وأهل تلك البلدة راوا هلال شوال، فهل يصلي معهم العيد مع أن مدة صيامه ٢٨ يوماً؟

الجواب: العبرة في بدء صيام رمضان برؤية الهلال في مطلقه بجهته يوم كان في بلده، وكذلك الحال في الفطر فتعتبر رؤية هلال شوال في البلد الذي سافر إليه.

وعلى ذلك يجب أن يفطر ويصلي العيد مع من في البلد الذي رئي فيه هلال شوال، وهو بين أظهرهم، ويقضي ما نقص من أيام صومه حتى يكون ما صامه تسعة وعشرين يوماً؛ لأن الشهر يكون ٢٩ أحياناً و٣٠ أحياناً. [اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء].

حكم التهنية بالعيد

س: ما حكم التهنية بالعيد وهل لها صيغة معينة؟

اجاب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «التهنية بالعيد جائزة، وليس لها تهنية مخصوصة، بل ما اعتاده الناس فهو جائز ما لم يكن إثماً». اهـ.

وقال أيضاً: «التهنية بالعيد قد وقعت من بعض الصحابة رضي الله عنهم، وعلى فرض أنها لم تقع فإنها الآن من الأمور العادية التي اعتادها الناس، يهنئ بعضهم بعضاً ببلوغ العيد واستكمال الصوم والقيام» اهـ. [مجموع فتاوى ابن عثيمين] (٢٠٨/١٦-٢١٠).



## الأمثال في القرآن

الحلقة الخامسة

مصطفى البصراطي

إعداد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:  
ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن، وهو من سورة البقرة الآية الرابعة عشرة بعد المائتين، وهي قوله تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ نَسِيتُمُ الْآيَاتِ وَالْعَذَابَ وَذُرُّوهُ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» [البقرة: ٢١٤].

المعنى الإجمالي:

قال ابن القيم في زاد المعاد (١١/٣) وهو يتكلم عن آيات الابتلاء: «فليتأمل العبد سياق هذه الآيات وما تضمنته من العبر وكنوز الحكم، فإن الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين؛ إما أن يقول أحدهم: آمناً، وإما ألا يقول ذلك، بل يستمر على السيئات والكفر، فمن قال آمناً امتحنه ربه وابتلاه وفتنه، والفتنة الابتلاء والاختبار ليتبين الصادق من الكاذب، ومن لم يقل آمناً فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه فإنه إنما يطوي المراحل في يديه.

وكيف يمر المرء عن ذنبه إذا

كان تطوى في يديه المراحل

فمن آمن بالرسول وأطاعهم، عاداه أعداؤهم، وأذوه فابتلى بما يؤله، وإن لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب في الدنيا والآخرة، فحصل له ما يؤله، وكان هذا المؤلم له أعظم المآل وأدوم من ألم اتباعهم، فلا بد من حصول الألم لكل نفس أمنت أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداءً ثم يصير إلى الألم الدائم.

والله سبحانه وتعالى ابتلى أولى العزم من الرسل، فلما صبروا مكنتهم؛ فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول، فاعقلهم من باع المآل مستمراً عظيماً بالم منقطع يسير، واشقاهم من باع الآلم المنقطع اليسير بالآلم العظيم المستمر. اهـ.

وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة رضي الله عنهم في يوم الأحزاب، كما قال الله تعالى: «إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَمْشِرُ وَغُلِبَتِ الْقُلُوبُ الْحَسْبُ لِلَّهِ وَتَنَزَّلُ الْفُتُوحُ ١٠ هَٰذَا أَجَلُ الْمُتَّقِينَ ١١ وَذُرُّوهُ وَذُرُّوا لَا شَيْءَ لَهُ» [الأحزاب: ١٠-١١]. ولما سال هرقل أبا سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: فكيف كانت الحرب بينكم؟ قال: سجالاً، يُذال علينا ونذال عليه. قال: كذلك الرسل تُبْتَلَى ثم تكون لها العاقبة. [تفسير ابن كثير ٢٢٨/١].

التفسير المفصل:

قوله تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ» «أم» من حروف العطف، وهي هنا منقطعة بمعنى «بل»، يقدر بعده همزة الاستفهام أي: بل أحسبتم، فهي إذا للإضراب الانتقالي، وهو الانتقال من كلام إلى آخر، فعلى هذا معنى الاستفهام هنا التقرير والإنكار أي أحسبتم دخولكم الجنة واقفاً، والغرض من هذا التوبيخ تشجيعهم على الصبر وحملهم عليه، وحسب هنا من أخوات ظن، وقد تستعمل في اليقين. [انظر تفسير ابن عثيمين وفتح البيان].

قال ابن عطية في المحرر الوجيز: «احسبتم دخولكم الجنة خلواً من أن يصيبكم ما أصاب من قبلكم»؛ لأن «خلوا» حال، والحال هنا إنما تأتي بعد توفية المفعولين، والمفعولان هما الابتداء والخبر قبل دخول حسب، و«البأساء» في المال، و«الضراء» في البدن، و«خلوا» معناه: انقرضوا، أي صاروا في خلاء من الأرض.

وهذه الآية نزلت في قصة الأحزاب حين حصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة، هذا قول قتادة والسدي وأكثر المفسرين، وقالت فرقة: نزلت الآية تسلياً للمهاجرين الذين أصيبت أموالهم بعدهم في بلادهم وفتنوا هم قبل ذلك. (المحرر الوجيز لابن عطية ٥١٥/١-٥١٦).

قوله تعالى: «أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ» «الجنة» هي الدار



التي اعدّها الله للمتقين فيها ما لا عين رأت، ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قوله تعالى: «ولما ياتكم» «ولما» حرف نفي، وجزم، وقلب، والفرق بينهما وبين «لم» ان «لما» للنفي مع توقع وقوع المنفي، و«لم» للنفي دون توقع وقوعه، مثاله: إذا قلت: «لم يبق زيد» فقد نفيت قيامه من غير ترقب لوقوعه، ولو قلت: «لما يبق زيد» فقد نفيت قيامه مع ترقب وقوعه، ومنه قوله تعالى: «بل لما يذوقوا عذاب» [ص: ٨]. [تفسير ابن عثيمين].

ومثل، معناه: شبه، فالتقدير: أي شبه الذين خلوا، وقوله تعالى: «مستهم اليأساء والضراء» بيان لهذا المثل، كأنه قيل، ما ذلك المثل؟ قيل: مستهم اليأساء والضراء، فليس لهذه الجملة محل إعراب؛ لأنها تفسير لما قبلها، وفي الآية استدعاء للصبر الذي هو وسيلة النصر كما قال الله تعالى: «آلَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» [البقرة: ٢١٤]، أي من الصابرين. «المحرر الوجيز» (٥١٦/١).

وقوله تعالى: «مَتَّعَهُمُ النَّاسُ وَالْأَسْوَاقُ وَالزُّلُومُ» [البقرة: ٢١٤]، هذه ثلاثة أشياء: «البأساء» قالوا: إنها شدة الفقر مأخوذة من البؤس، وهو الفقر الشديد، و«الضراء»، قالوا: إنها المرض، والمصائب البدنية، و«الزُّلُومُ» هنا ليست زلزلة الأرض، لكنها زلزلة القلوب بالخوف والقلق والفتن العظيمة، والشبهات، والشهوات، فتكون الإصابات هنا في ثلاثة مواضع: في المال، والبدن، والنفس. اهـ.

قوله تعالى: «حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» [البقرة: ٢١٤] أي استمر ذلك إلى غاية هي قول الرسول ومن معه أي صاحبه في الإيمان، و(حتى) بمعنى إلى وإن مضمرة أي: إلى أن يقول، وهي غاية لما تقدم من المس والزلال؛ وذلك لأن الرسل أثبت من غيرهم واصبر، واضبط للنفس عند نزول البلاء، وكذلك اتباعهم المؤمنين.

قوله: «مَتَّى نَصْرُ اللَّهِ» [البقرة: ٢١٤] «متى» ظرف زمان لا ينصرف إلا بجره بحرف والرسول هنا قيل هو محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: شعيب، وقيل: هو كل رسول بعث إلى أمته، وقالت طائفة في الكلام تقديم وتأخير، أي: حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله، ويقول الرسول: «إلا إن نصر الله قريب».

وقال ابن عباس: أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأخبرهم أنه هكذا فعل بانبياؤه وصفوته لتطليب أنفسهم، والمعنى أنه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر، وذلك هو الغاية القصوى في الشدة، فلما بلغ الحال في الشدة إلى هذه الغاية، واستبطلوا النصر قيل لهم: «آلَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» [البقرة: ٢١٤] إجابة لهم في طلبهم.

والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم إلى أن يأتهم نصر الله، فكونوا يا معشر المسلمين كذلك، وتحملوا الأذى والشدة والمشقة في طلب الحق؛ فإن نصره سبحانه قريب إتيانه لا بعيد، وفيه إشارة إلى أن المراد بالقرب الزمني، وفي إثبات الجملة الاسمية الفعلية المناسبة لما قبلها، وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقيق مضمونها وتقرر ما لا يخفى. [فتح

البيان لصديق حسن القنوجي ١/٣٠٠].

من فوائد الآية:

١- عناية الله عز وجل بهذه الأمة، حيث يسليها بما وقع بغيرها؛ لقوله تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْمَكَّةَ وَلَكُمْ بِهَا نُصْرَةٌ مِثْلَ النَّارِ خَلَا مِنْ قَبْلِكُمْ» [البقرة: ٢١٤]، وهكذا كما جاء في القرآن جاء في السنة، فالرسول صلى الله عليه وسلم لما جاءه أصحابه يشكون إليه بمكة فأخبرهم: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه، وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه». رواه البخاري؛ تبييناً للمؤمنين.

٢- من الفوائد: إحياء الجنة.

٣- ومنها: أن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتخلي، بل لا بد من نية صالحة وصبر على ما يناله المؤمن من أذى في الله عز وجل.

٤- ومنها: حكمة الله عز وجل؛ حيث يبتي المؤمنين بمثل هذه المصائب العظيمة امتحاناً حتى يتبين الصادق من غيره، كما قال الله تعالى: «وَلَقَدْ لَعَنَّاهُ فَجَدَّدْنَا بُنْيَانَهُ لِنَبْلُوَهُ أَأَنْتَ الصَّادِقُ الْفَعْلُ» [البقرة: ٢١٤]، فلا يعرف زيف الذهب إلا إذا أذناه بالنار، ولا يعرف طيب العود إلا إذا أحرقناه بالنار، أيضاً لا يعرف المؤمن إلا بالابتلاء والامتحان، فليكن يا أخي بالصبر، قد تؤذي على دينك، قد يستهزأ بك، وربما تلاحظ وربما تراقب، ولكن اصبر، واصدق وانظر إلى ما حصل من أولى العزم من الرسل.

٥- ومنها: أنه ينبغي للإنسان ألا يسأل النصر إلا من القادر عليه، وهو الله عز وجل؛ لقوله تعالى: «مَتَّى نَصْرُ اللَّهِ» [البقرة: ٢١٤].

٦- ومنها: أن المؤمنين بالرسل مناهجهم منهاج الرسل، يقولون ما قالوا؛ لقوله تعالى: «حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» [البقرة: ٢١٤].

٧- ومنها: تمام قدرة الله عز وجل لقوله تعالى: «آلَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» [البقرة: ٢١٤].

٨- ومنها: أن الصبر على البلاء في ذات الله عز وجل من أسباب دخول الجنة؛ لأن معنى الآية: اصبروا حتى تدخلوا الجنة.

٩- ومنها: تبشير المؤمنين بالنصر ليتقوا على الاستمرار في الجهاد ترقباً للنصر المبشرين به.

١٠- ومنها: الإشارة إلى ما جاء في الحديث الصحيح: «خفت الجنة بالمكاره». رواه مسلم- لأن هذه مكاره، ولكنها هي الطريق إلى الجنة.

١١- ومنها: أنه لا وصول إلى الكمال إلا بعد تجرع كأس الصبر؛ لقوله تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْمَكَّةَ وَلَكُمْ بِهَا نُصْرَةٌ مِثْلَ النَّارِ خَلَا مِنْ قَبْلِكُمْ» [البقرة: ٢١٤]، «وَلَقَدْ لَعَنَّاهُ فَجَدَّدْنَا بُنْيَانَهُ لِنَبْلُوَهُ أَأَنْتَ الصَّادِقُ الْفَعْلُ» [البقرة: ٢١٤].

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## سارع أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً  
تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع  
من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

تشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة  
وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك  
لعمل كرتونة كاملة ٢٨ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد  
- نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء  
الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك  
بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي.  
.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.



# مفاجأة سارة

الآن

موسوعة التوحيد

ببلاش



بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأحاء الجمهورية.

الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .

أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .

استلم الموسوعة ببلاش بدون مقدم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .

من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له

أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مَزَكَّى من الفرع .

علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة

وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد .

هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفرع والمشتريين .



23936517